

قصة من بوليسية الأوراك

لغز الساقية المرحورة



Looloo

www.dvd4arab.com



« أم شلبى »



أم شلبى

كان المغامرون الثلاثة ،
« عامر » ، و « عارف » ،
و « عالية » ومعهم الصديق الوفى
الأمين « سمارة » ، منهمكين فى
الإعداد لرحلة الغد . كانوا
يشعرون بالغبطة والسعادة ، فغداً
سوف تبدأ إجازة نصف السنة
الدراسية . وكان أسعدهم هو
الكلب « روميل » ، الذى أحسَّ

بغريزته أن فى الأمر شيئاً هاماً غير عادى . أما القط « مرجان » فكان
هادئاً رزيناً كعادته . .

فقد وعدهم والدهم أن يقضوا فترة الإجازة فى المنزل الصغير
الجميل الذى يملكه فى زمام بلدة « سنديون » بمحافظة القليوبية .
وتقع هذه البلدة على الطريق الزراعى ، وعلى مسافة ما يقرب من
نصف الساعة بالسيارة من وسط مدينة القاهرة .

وقد شيد والدهم هذا المنزل قرب عشرة فدادين يملكها مزروعة

بالموالمح : البرتقال واليوسفى والليمون . وعلى بعد قليل من المنزل تمر
الترعة الرئيسية التى تغذى الناحية بمياه الرى .

ويجاور المنزل « دوار » صغير ، كان يستعمل فيما مضى لإيواء
الجاموس والأبقار والماشية . أما الآن فهو خاو لا يحتوى إلا على بعض
الأدوات الزراعية ، منها المعاول والفثوس ، ونورج قديم نرعت عنه
التروس ، حيث استبدل به الجرار البخارى . .

وعلى بُعد مائة متر من المنزل تقع ساقية نصب ماؤها ، وبطل
استعمالها ، حيث استبدلت بها الطلمبة الآلية . وإن كانت لا تزال
تحتفظ بقواديسها ^(١) .

وكان المغامرون يعرفون كل هذه الأشياء جيداً . فكم قضوا فى
هذه الناحية أوقاتاً طيبة مع والديهم ، اللذين كانا يصطحبانهم كلما
سمحت ظروفهما بذلك لزيارة الأرض . وهو نادراً ما كان يحدث نظراً
لانهماك والدهم فى عمله بالقاهرة .

أما المنزل الصغير فكان يُغلق على مدار العام ، ولا يُفتح
إلا لاستقبالهم إبان هذه الزيارات الخاطفة المفاجئة ! . .

° ° °

(١) القادوس هو آنية فخارية أو معدنية تركب على عجلة الساقية العمودية لرفع المياه
من البئر العميقة إلى سطح الأرض .

وكان المغامرون لا يطبقون صبراً فى انتظار الصباح ، بعد أن
سبقتهم إلى هناك سيارة تحمل لهم أمتعتهم وبعض المأكول ،
ودراجاتهم ، والصنانير لصيد السمك من الترعة ، وبنادق الرش
لصيد العصافير ، وجلد الثمر الذى أهده المهرجا المزيف إلى
« عالية » .

فقد أصرت « عالية » على أخذه معها لتفرشه على أرض الصالة
البلاطية ، اتقاء لبرد الريف فى شهر يناير . .

وكان الوالدان يجلسان وسطهم وهما يزودانهم بنصائحها الأخيرة .
الوالد : رجائى الوحيد هو أن تكفوا عن الشقاوة طوال إقامتكم
هناك ، وأن تبتعدوا عن الزج بأنفسكم فى المغامرات كعادتكم !
عالية : نعدك بذلك يا بابا ! . .

الوالدة : وستجدون « أم شلبى » فى استقبالكم بالمنزل . وهى التى
ستقوم بإعداد الطعام والخدمة ونظافة المنزل . .

و « أم شلبى » هذه فلاحه صميمة طيبة . وهى زوجة الحفير الذى
يشرف على الحراسة فى بساتين الفاكهة ، كما تشرف هى على حراسة
المنزل فى أثناء غيابهم !

° ° °

كانت السيارة تسير بهم بجوار الترعة فى الطريق الضيق غير الممهّد

وسط المزارع والبساتين ، حتى وصلت بهم إلى بوابة المنزل .
وما كادوا يترجلون حتى هلت عليهم « أم شلبي » وهي تهش فيهم
بوجهها السطح .

أم شلبي : أهلاً . . أهلاً . . يسعدني أن أراكم ! . . لقد سمعت
عنكم كثيراً ! . .

لم يكن المغامرون قد رأوا « أم شلبي » من قبل . ولكنهم أنسوا لها
من أول وهلة ، وشعروا نحوها بالود والعطف .

اخترق المغامرون الطريقة الطينية المؤدية إلى باب المنزل من البوابة
الخارجية . وكان « سمارة » يسير خلفهم ، يتبعه « روميل » . وكان
« سمارة » يتطلع إلى ما حوله ، فقد كانت هذه أولى زيارته للمنزل
والبساتين . وعندما وصل إلى الباب ، رأى « سقطة » ضخمة أثرية
مثبتة في وسطه . وكانت هذه السقطة من الحديد ، على شكل كف
آدمي يمسك بكرة ، وتستعمل في الطرق على الباب .

أمسك « سمارة » بالسقطة وطرق بها الباب فجأة بشدة فجفلت
« عالية » من الصوت العالى الرنان الذى شاع صدها في أركان الصالة
الفسحة . .

عالية : ما هذا يا « سمارة » . . هل ابتدأت الشقاوة من الآن ؟
ودخل المغامرون المنزل بعد أن اعتذر « سمارة » عن شقاوته .

فوجدوه أنيقاً نظيفاً مرتباً . وكانت « أم شلبي » تتبعهم مرحبة مهللة .
أم شلبي : أنا نظفت البيت ورتبته . . ولكنى احترت أين أضع
هذا القط الذى لم أر أكبر منه في حياتي ! ! . .

ضحك الجميع على سذاجتها ، وتوجهت « عالية » إلى جلد النمر
الذى كومتها « أم شلبي » في ركن من الصالة ، وسحبته وفرشته في
وسطها .

عالية : هذا جلد نمر يا « أم شلبي » . . اصطدناه بأنفسنا في
الهند . . سنجلس عليه هنا لتدفأ به من البرد . .

أم شلبي : أما أنا فلن أقربه . . وتكفينى حرارة الفرن ! . .
صعد المغامرون إلى الطابق العلوى الذى كان يحتوى على غرفتي
نوم . احتل إحداهما « عامر وعالية » ، والأخرى « عارف وسمارة » . أما
« روميل ومرجان » فكانا يرقدان معها متجاورين داخل الغرفة .
والكلب والقط قد رضيا عن طيبة خاطر بهذا الجوار ، فهما يدركان
النتيجة لوقام بينهما شجار ، وهو الطرد والنوم خارج الدار ! ! . .

...

دخلت « عالية » المطبخ فوجدت « أم شلبي » منهمكة في صنع
بعض الفطير « المشلت » اللذيذ ، والجبن القريش ، والحمام المحشو
بالفريك .

عالية : من سيأكل كل هذا يا «أم شلبي» ؟
أم شلبي : أنتم طبعاً . . بعد رجوعكم إلى المنزل من الغيطان
ستطلبون المزيد . . هواء الريف يفتح الشهية !

عالية : اعملي معروف يا «أم شلبي» اقفلي الشباك . . الدنيا برد !
أم شلبي : الهواء يدفع الشباك لأن الأكورة مكسورة ! وسأخبر
«أبو شلبي» ليرسل لنا من يصلحها . .

قالت هذا وتوجّهت ناحية الشباك وأحكمت إغلاقه ، ولكنها
ما كادت ترجع إلى «عالية» حتى هبّ الهواء ففتحه ثانية .

أم شلبي : على كل حال ياست «عالية» الدّار أمان . . وليس في
المنزل ما يغرى بالسرقة . . و«الكرار» وبه الخزين مغلق بالمفتاح .
عالية : وأين المفتاح ؟

أم شلبي : لا أدري . . يمكن مع الست الكبيرة في مصر ! . . !
ذهبت «عالية» إلى باب «الكرار» الموجود داخل المطبخ
وحاولت فتحه ولكنها لم تتمكن من ذلك . . .

اندهشت «عالية» من ذلك ! هل سبّهي على والدتهم أن
تسلمهم المفتاح قبل سفرهم ؟ أم هي تعلم أن بابه مفتوح ! هذا
لا يهم الآن ، فستنجلي الحقيقة عند وصولها بعد أيام !

خرجت «عالية» من المطبخ في طريقها إلى الصلاة ، فوجدت



كان أول ما لفت نظرهم هو «خيال الماتة»

إخوتها و«سمارة» على أهبة مغادرة المنزل . وكان «عامر» يحمل بندقية الرش في يده ، و«عارف» و«سمارة» يمسكان بصنائير الصيد ، و«روميل» يتبعهم وهو يهز ذيله فرحاً . أما «مرجان» فقد فضل أن يتسرب في خلصة إلى المطبخ في طلب الطعام .

عالية : إياكم والتأخير . فالغداء في تمام الواحدة . . أما أنا فسأمكث اليوم مع «أم شلبي» لأتعلم منها كيفية عمل «المشلت» وحشو الحمام !

...

خرج الثلاثة إلى حديقة المنزل الصغيرة المزروعة بأشجار الخوخ والبرقوق والمشمش ، ليستقلوا دراجاتهم التي كانت تستند إلى جدار المنزل . وكان أول ما لفت نظرهم هو «خيال المائة» المقام وسط أشجار الفاكهة . كان متقن الصنع حتى خيل إليهم أنه تمثال رجل حقيقي .

سمارة : ما رأيكم في أن نضع على جسمه بعض الملابس الجديدة ، وعلى رأسه طاقية أو عمامة لتقيه البرد ؟

عارف : هذه فكرة جميلة . . أنا متبرع له بكوفية !

عامر : وأنا بجاكete قديمة !

سمارة : وأنا بطاقية ! وسأسميه «شلبي» ! ! . .

عامر : إياك أن تناديه بهذا الاسم على مسمع من «أم شلبي» ! فقد تظن أننا نهزأ بها . والآن هيا بنا نزور الساقية المهجورة . . وهناك بجوارها في التربة موقع غني بالبلطي والقراميط تصطادان منه . أما أنا فسأجوب المزارع في طلب العصافير . . وسوف أوافيكم قبل الظهر . توجهوا بدرجاتهم إلى الساقية . فوجدوها كسابق عهدهم بها . . تقع مهجورة وسط المزروعات والأشجار . أطلوا في بئرها العميقة فوجدوها جافة تنمو فيها بعض الحشائش . وبجوار الساقية مبنى من الطين تداعت جدرانه ، كان يأوي فيما مضى الجاموسة التي كانت تدبر الساقية .

وقفوا أمام الساقية ينظرون إليها وهم يتعجبون ! لماذا تركت هذه الساقية هكذا ، مع أنها خربة مهجورة ؟

عامر : لا أدري لماذا ترك والدنا هذه الساقية مكانها وقد أصبحت عديمة الفائدة ، بعد أن حلت محلها الآن طلمبات المياه ؟ عارف : كان الأجدر به أن يزيلها ويزرع مكانها أشجاراً ؟ سوف أقترح عليه ذلك ! . .

حاول الثلاثة إدارة الساقية بكل ما فيهم من قوة ، ولكنها استعصت عليهم .

سمارة : إن إدارتها تحتاج إلى جاموسة أو ثور أو جمل . . ونحن

لا نملك واحداً منها ..

عارف : يمكننا أن نستعير جاموسة « أم شلبي » ! أو جمل الشيخ
« رفاعي » مستأجر البساتين !

عامر : وما الحاجة لنا بإدارتها ؟ لا تفكر في شيء من ذلك
يا « عارف » ! لا فائدة ترجى من وراء إدارتها بعد أن جفت مياهها !
هيا بنا لانضيق وقتنا فيما لا يفيد ! .. فنحن لم نأت هنا للفرجة على
ساقية مهجورة ! ! ..

وهكذا قضى ثلاثتهم أول صباح لهم في الرياضة وصيد السمك
والاستكشاف في الغيطان المجاورة .

وما إن حانت الساعة الواحدة حتى كان الجميع يجلسون على
المائدة ، يلهمون الطعام الريفى الشهى اللذيذ الذى أعدته لهم « أم
شلبي » .



« السقاية »

وقرب حلول الظلام ،
بدأت « أم شلبي » فى إيقاد لمبات
الجاز ، حيث لم يكن بالمنزل
كهرباء . ثم أوصتهم بأن يبعدوا
الكلب والقط عنها تفادياً من
شبوب حريق بالمنزل .

وبعد أن انتهى المغامرون من
تناول العشاء ، جلسوا فى الصالة
يتسامرون ويتدارسون فى برنامج

الغد . فى حين كانت « عالية » تفرش جلد النمر الموضوع على
الأرضية ، وهو مكان جلوسها المفضل .

عالية : الحال هنا هادئ بدرجة غير عادية ..

عارف : يبدو أننا سنقضى هذه الإجازة فى استرخاء واستجمام ..
بلا إثارة أو مغامرة ! الجو هنا يندّر بذلك !

عامر : من يعلم ؟ لعله الهدوء الذى يسبق العاصفة ! ! .. إلى
أتوجس شيئاً ما سيحدث ! .. إنه شعور داخلى ! ..

ولكن «عامر» توقف فجأة عن الحديث ، وأخذ يحدق في النافذة المطلة على حديقة المنزل . لقد خيل إليه أنه رأى شبحاً يتحرك ، فقال :

عامر : هناك من يتحرك في الحديقة يتطلع إلينا . . الزموا أماكنكم ولا تتحركوا لنرى ماذا سيفعل !
سمارة : هل نسيت «شلبى» ؟ ليس هناك في الحديقة غيره !
عامر : أين ذكائك يا «سمارة» ؟ «شلبى» ثابت في مكانه لا يتحرك !

عالية : ومن هو «شلبى» هذا ؟
سمارة : «شلبى» اسم أطلقناه على «خيال المائة» الموضوع في الحديقة !
عامر : غريب ! . . ولكنى لا أرى شيئاً الآن . . ومع ذلك خيل لى تماماً أنى رأيت شخصاً يقف هناك يحدق في النافذة ! ربما كنت مخطئاً !

قال هذا وذهب إلى النافذة وأسدل ستائرهما .
وفي الساعة التاسعة بدءوا يشعرون بالنعاس ، فتسرب الواحد منهم وراء الآخر إلى غرفته .

أما «أم شلبى» فقد توجهت إلى حجرة بجوار المطبخ لتنام فيها ،

بعد أن قامت بإطفاء شعلات الجاز ، وأصبح المنزل في ظلام دامس .

• • •

كانت «عالية» تتحدث إلى أخيها «عامر» وهى تتشاءب في فراشها ، وقالت له : لو كان هناك شخص غريب في الحديقة لنبح عليه «روميل» . . لاشك أنك كنت واهماً . .
عامر : هذا صحيح . . لقد فاتنى ذلك !

ولكن «عامر» لم يشأ أن يخبر أخته بأن «روميل» لم يكن في وضع يسمح له برؤية الحديقة من النافذة وهو يرقد على أرض الصالة . كما أن وقع الأقدام لا يُسمع وهى تدب على الأرض الطينية !
وفي الحجرة المجاورة كان «سمارة» يرقد في فراشه ، فى حين كان «روميل» يرقد بجوار السرير بالقرب من سيده . وكان «روميل» قلقاً يزوم و«يطرطق» أذنيه من وقت إلى آخر .

لم يأبه «سمارة» بما يصدر عن كلبه من حركات وإشارات . فقد أولها على أن «روميل» يطارده فى نومه وأحلامه فأراً . . أو القط «مرجان» ! وهذه هى عادته على كل حال عندما ينام فى مكان غريب !

راح الجميع فى سبات عميق على أثر مجهود اليوم الطويل الشاق .

وفي الصباح وبعد تناول الإفطار ، اتفقوا على الخروج إلى المزارع
للصيد والترىض . ولم يكن أمامهم ما يفعلونه غير ذلك . .
أما « عالية » فقالت إنها ستصلح جاكنتها الصوفية ، وستلحق بهم
بعد قليل عند التربة .

وفي الطريق إلى الخارج ، توقف « عامر » عند « خيال المائة » ،
وأخذ ينظر إليه بامعان ، ثم قال :

عامر : إن « شلبي » يبدو في الظلام كرجل حقيقي ! إذا كنا نحن
نراه كذلك . . فلا شك أن العصافير معذورة ! . .

عارف : خاصة بعد أن كسونه بهذه الملابس الأنيقة . .
عامر : ما رأيكما في أن نفحص آثار الأقدام هنا . . ربما وجدنا
بعض الآثار الغريبة عن أقدامنا نحن ! لأنني مازلت أشك في أنني
لحقت شبحاً بالحديقة في الليلة الماضية !

ولكن بعد أن فحصوا المكان بدقة ، لم يجدوا أى أثر واضح .
فقد كانت الآثار كلها مختلطة مشوشة . .

ذهب « عامر » إلى حيث يقف « شلبي » ماداً ذراعيه الخشبيتين في
وضع أفقى ، في حين تتدلى أكمام جاكنته إلى أسفل . وكان يوجد
بالقرب منه خصص صغير مصنوع من الغاب وفروع الأشجار الجافة ،
وبه بعض الفتوس والمقاطف المستعملة في الحديقة .

وكان « روميل » يحول في المكان يشم كل شبر من الأرض . وإذا
به يجرى فجأة ويدخل الحصص الصغير ، ثم يخرج منه وهو يقبض على
شئ بأسنانه الحادة . ولما تناوله منه « عامر » وجدته فردة قفاز
صوفى ! . . ولكن ياله من قفاز كبير لكف ضخمة . لابد أن تكون
هذه الكف لعملاق ! ! . .

عامر : انظروا ماذا اكتشفه « روميل » ؟ أظن الآن أن شخصاً كان
هنا يرقبنا بالأمس ! ! . . إذ لو أن صاحبه فقدته منذ زمن طويل . .
لعاد يفتش عنه ووجده !

عارف : ربما كنت مصيباً في ظنك . . ولكن لا داعي الآن
لإزعاج « عالية » و« أم شلبي » فلنتنظر حتى نكشف عن هذا
الغموض . .

سمارة : لك حق . . ربما كانت المسألة مجرد وهم ! . .
عامر : على كل حال لا يمكننا أن نفعل شيئاً الآن . . وما علينا
إلا أن نفتح أعيننا جيداً . . ولا أظن أن المسألة مجرد وهم ! فأمامنا
الآن دليل ملموس !

• • •

وفي المساء كان المغامرون يجلسون كالعادة في الصالة بعد تناول
العشاء ، وعيونهم تحدق من خلال النافذة إلى الحديقة . ولكنهم لم

يلاحظوا شيئاً غريباً هناك ! ..

وأخيراً ثاءب «سمارة» وقال : إني أشعر بالتعب ، وسأصعد لأنام .. ولن يوقظني الليلة من نومي صوت القنابل أو هزات الزلازل ! ! ..

صعد «سمارة» إلى غرفته ومعه المغامرون الثلاثة . وماكادوا يأوون إلى فراشهم حتى راحوا في سبات عميق . لقد حلّ عليهم التعب بعد مجهود اليوم الطويل الشاق .

أما «أم شلبي» فقد دخلت المطبخ وأطفاّت اللمبة ، ووقدت في فراشها ونامت لتوها ..

وكان السكون الخفيف يحيم على المنزل والحديقة ، ولا يُسمع غير نباح الكلاب ومواء القطط وصياح البوم يأتي من المزارع القريبة . وعلى حين فجأة ، مزق صمت الليل صوت قوى كالرعد ، انتشر صدهاء في أرجاء المنزل الصغير .

استيقظ الجميع على هذا الصوت المدوي ، وهبوا من فراشهم كمن يستيقظ على أثر حلم مزعج أو كابوس مخيف . وأخذ «روميل» ينبج نباحاً متواصلاً . أما «مرجان» فقد تسلل واختبأ في هدوء تحت السرير ! ! صاح «عامر» على أخيه «عارف» في الغرفة المجاورة قائلاً :

عامر : هل سمعت هذا الصوت يا «عارف» ؟ !

عارف : طبعاً .. إن الأصم يسمعه ! .. لا أظنه الرعد .. فإني أرى القمر والنجوم من نافذتي والسما صافية . ونحن لسنا في رمضان وإلا ظننته مدفع السحور !

سمارة : ماذا تظن هذا الصوت يا «عامر» ؟ .

عامر : لا أعلم ، فقد كنت نائماً .. ولكن يبدو لي أن الصوت قريب جداً .. وكأنه داخل المنزل ! ..

وماكاد «عامر» يتم جملته ، حتى دوى الصوت الهادر من جديد . لقد سمعوه الآن جيداً بجلاء ووضوح .. إن الصوت هذه المرة ليس حلماً مزعجاً أو كابوساً مخيفاً . بل هو الحقيقة ! إن صدى الصوت لا يزال يتردد في آذانهم ، وينتشر في المنزل يملأ فضاءه ! دخل «عارف وسمارة» على «عامر» وهما يتساءلان : ترى ماذا يكون مصدر هذا الصوت الدخيل ؟

أخذ المغامرون يفكرون برهة ، إلى أن نظقت «عالية» :
عالية : هذا صوت «السقطة» الضخمة المعلقة على الباب الخارجي ! إن شخصاً يطرق بها على الباب بعنف ! .. والصوت يتضح في سكون الليل ! هذا هو الصوت الذي سمعناه عندما طرق «سمارة» الباب عند وصولنا ! ..

عارف : ومن تسوّل له نفسه أن يأتي في مثل هذا الوقت المتأخر... إن الساعة الآن الثانية صباحاً ! ..

عالية : أليكون والدنا ؟

عامر : لا أظن ذلك... إنه لم يخطرنا تليفونياً كما وعدنا... وهو معه أيضاً مفتاح الباب...

ظلّوا هكذا صامتين واجمين لا يجدون حلاً أو تفسيراً لذلك، إلى أن دخلت عليهم «أم شلبي» في هذه اللحظة وهي ترتجف حاملة لمبة الجاز في يدها.

أم شلبي : هناك من يطرق الباب... أنا خائفة... ولن أنزل لأفتح الباب... ولا أنصحكم بالتزول ! ..

ابتسم «عامر» لها وهو يطمئنها وقال :

عامر : لا تخافي يا «أم شلبي»... ربما كان الطارق أحد الجيران يطلب النجدة ! سنطل من النافذة ونسأله من هو ؟

فتح «عامر» النافذة وأطلّ منها على الحديقة، وكان شبح «شلبي» واضحاً مميّزاً في ضوء القمر، وصاح قائلاً :

عامر : من هناك ؟... من هناك ؟

حبس الجميع أنفاسهم في انتظار سماع صوت الطارق ومن يكون.

ولكن لم يكن هناك مجيب ! .. وكل ما سمعوه كانت أصداء صوت «عامر» تتجاوب في أنحاء الحديقة !

فأعاد «عامر» الكرة وصاح :

عامر : من الذي يطرق الباب ؟ أجب من فضلك ! .. ولكنه أغلق النافذة بعد أن يش من وصول الرد، وبعد أن رأى «عالية» وهي ترتعش من الهواء البارد الذي هبّ عليهم من المزارع . قال : لا أحد هناك... لا صوت ولا حس !

عالية : أتظنون أن أحدهم يمزح معنا ؟

عارف : من الجائز... ولكن ياله من مزاح ثقيل غير مستساغ ! ..

عامر : إذا كان الأمر كذلك فهيا بنا الآن نعاود النوم !

عالية : وهل سيأتينا النوم ونحن في انتظار هذا الصوت من دقيقة لأخرى !

عامر : لنأمل أنه سوف يكفّ عن الطرق... وستتحرى الأمر عنه في الصباح...

«خيال المائة»



اجتمع المغامرون في
الصباح ، على مائدة الإفطار ،
وكانوا يتحدثون ، عن لغز هذا
الطارق الليلي ، الذي يدق على
الباب بالسقطة ، بعنف ... ثم
يتبخر في الهواء ! .. وهل هو
وهم .. أو شبح .. أو حقيقة !
عامر : ما رأيكم الآن في
إجراء بعض التحريات في

الحديقة ، وأمام الباب ، لعلنا نصل إلى نتيجة ؟

عالية : لا بد أن نصل إلى الحقيقة ... ولا يمكن أن تمضي ليلة
أخرى نهياً «للساوس والهواجس» !

وافق الجميع على اقتراحه . وخرجوا من الباب يقودهم «روميل» .

أما «مرجان» فكان يلهو في الحديقة منذ الصباح الباكر .

قال «عامر» بعد أن تمهلوا قليلاً عند العتبة ، وكانت عيونهم
تتطلع هنا وهناك عن أي أثر قد يميظ لهم اللثام عن هذا اللغز المحير .

عامر : المفروض أنه لا توجد غير آثار أقدامنا ، وأقدام «أم
شلي» . . فلا أحد غيرنا وطئت أقدامه أرض الحديقة منذ وصولنا !
عالية : يعني إذا عثرنا على آثار غيرها ، فهل تكون للطارق
الغامض ؟

انتشر المغامرون في الموقع الذي يؤدي من البوابة الخارجية إلى
باب المنزل . إن آثار أقدامهم ، وأقدام «أم شلي» و«روميل»
و«مرجان» تظهر بوضوح وجلاء . أما فيما عدا ذلك فلا شيء
هناك ! !

وأخيراً وبعد التدقيق ، لحت «عالية» بنظرها الثاقب ، آثار
قدمين كبيرتين ثقيلتين غائرتين ، تحاذي جدار المنزل .

عالية : انظروا ! لقد اكتشفت شيئاً هاماً !

تتبع المغامرون هذه الآثار ، فوجدوا أنها تأتي من ناحية «خيال
المائة» . ثم تسير في محاذاة المنزل ، حتى تتوقف بجوار عتبة الباب .
وكان «عارف» يفحص هذه الآثار في صمت وهو يسير معها
ذهاباً وإياباً ، وهو يهز رأسه تعجباً . . . ثم قال :

عارف : ألا تلاحظون أن هذه الآثار تسير في اتجاه واحد ؟ !
عامر : هذا صحيح . . فهي تأتي من ناحية «خيال المائة» . .
حيث تتوقف عند عتبة الباب ! أليس هذا عجيباً ! . .

عالية : وهذا يعنى أن صاحب هذه الآثار لم يعد أدراجه من حيث أتى ! ! ! . . . أياكون قد هبط علينا من السماء « بالبراشوت » ! ! ! . . .

سمارة : وإذا كان لم يرجع . . . ولم يدخل المنزل . . . فأين ذهب ؟
عالية : هذا هو بيت القصيد . . . إنه لغز ! ! ! . . .
عامر : أنا متأكد الآن أن هذه آثار قدميه . وأن القفاز الذى عثر عليه « روميل » هو قفازه !

عارف : الآن نحن على يقين من أن قدميه كبيرتان ، وأن كفيه غليظتان . . . وأنه وصل حتى بابنا ولم يعد أدراجه ! هذه هى كل معلوماتنا عنه !

سمارة : ولكن ما نجعله هو لماذا يطرق بابنا فى الليل ويختفى ؟ ! !
هذا هو اللغز الحقيقى الذى يبحث عن الحل ! . . .
عالية : على كل حال أرجو أن يكف عن مزاحه . . . وأن يتركنا فى حالتنا !

عامر : هل تظنون من الأصوب أن نخطر والدنا تليفونياً ؟
عارف : هذا من واجبنا . . . ربما كان فى الأمر سرٌّ خطير !

... ..

لم يتمكن المغامرون من الاتصال بوالدهم تليفونياً . فقد كان



تليفون العمدة معطلاً . وبعد أن تشاوروا في الأمر فيما بينهم ، استقر رأيهم على كشف هذا الغموض ودوافعه بأنفسهم ، إلى أن يتم إصلاح التليفون .

عامر : إذن سنبدأ تحرياتنا من هذا «الدوّار» القريب .
توجّه الجميع صوب الدوّار ، وماكادوا يصلون بالقرب منه ، حتى شاهدوا آثار الأقدام الكبيرة الغائرة . . هي نفسها التي تظهر بجوار جدار المنزل !

تطوّع «سمارة» لتسلّق جدار الدوّار ، وقفز من نافذة علوية صغيرة إلى الداخل . ثم خرج إليهم بعد برهة وجيزة ، وهو يحمل لهم خبراً هاماً .

سمارة : يبدو على الدوّار أنه مهجور من مدة طويلة . ولكنني عثرت بجوار «النورج» على بطانية قديمة ووسادة . . وعلبة سجائر فارغة . . وبعض أعقاب السجائر . . وبقايا طعام طازج ! ! . .
قال هذا وناول «عامر» العلبة الفارغة وأعقاب السجائر . .
عامر : أعتقد أن هذا الطارق المجهول يختنق في هذا الدوّار ليلاً . . ولا بد أن يكون المفتاح في حوزته ! ! . . فالنافذة صغيرة يتعذر عليه المرور منها !

سمارة : وهذا ما يدهشني ! . . فالمكان لا يصلح إلا لنوم

البهائم ! لقد كدت أختنق فيه !

عالية : ربما كان هذا المجهول يراقبنا . . فالدوّار أقرب مكان للمنزل يصلح لهذا الغرض ! كما أنه بعيد عن الشبهة !

عارف : أوروبما هو ينتظر بفارغ الصبر رحيلنا عن المنزل !
سمارة : ولماذا ؟ فليس بالمنزل ما يستحق كل هذا الاهتمام !
عالية : ونحن لا نقف في سبيل أحد !

عامر : من يعلم ؟ قد يكون في هذا المنزل ما يستحق منه هذه المخاطرة ! ! ونحن نقف أمامه حائلاً في سبيل الحصول عليه !
تتبع المغامرون آثار أقدام الضيف الثقيل منذ خروجه من الدوّار ، حتى اختفت بين المزروعات .

عالية : على الأقل آثار أقدامه هنا تروح وتجيء . . فهي ليست في اتجاه واحد ! ! . . كما هو الحال أمام المنزل .

سمارة : ترى من يكون هذا الشخص ؟ أ يكون متشرداً أولصاً ؟
عارف : ولماذا يطرق متشرد بابنا ليلاً ؟ وإذا كان لصاً فهو من باب أولى يخفي صوته وتحركاته . . ولا يعلن عن قدومه بالسقاطة !
كانت «أم شلبي» في استقبال المغامرين على الباب الخارجى عندما وصلوا قرب المغرب لتناول العشاء .

وكان «سمارة» يضحك وهو يقول لها مازحاً :

- هل زارك طارق الليل في أثناء غيابنا؟ أم أن الدنيا مازالت نهاراً!

أم شلبي : دعه يحضر ! فقد تحصّنت له بيد « الهاون » ، وبإبريق من الماء المغلي ! سوف أعطيه درساً لن يعاود بعده طرق الباب ! . والآن سأحضر لكم الطعام . .

جلس المغامرون حول المائدة وهم يضحكون . ويعجبون باستعداد « أم شلبي » للاستقبال الحار الذي سوف تفاجئ به طارق الليل !

كان ضوء القمر يشع بنوره على الحديقة ، عندما نهضت « عالية » وسارت نحو النافذة ، وقالت :

عالية : سأسدل الستائر حتى لا يتلصص علينا أحد من هذا الحص الصغير !

ولكنها ما كادت تفعل ذلك حتى صاحت :

عالية : أين « خيال المائة » ؟ ؟ ! . .

أسرع الجميع وتكالبوا حول النافذة ينظرون إلى حيث يقف خيال المائة يحمي فاكهة الحديقة من هجوم العصافير ! . .

سمارة : لقد اختفى « شلبي » ؟ ؟ ! . .

عارف : هذا عجيب . . مستحيل . . لقد شاهدناه من نصف

ساعة فقط !

عامر : المهم أنه ليس الآن هناك ! ! . . ولكن أين اختفى ؟
يالها من أحداث غريبة مبهمة تقع حولنا ! ! . .

حلّ الصمت بالمغامرين بعد أن أصابتهم دهشة بالغة . وأخذوا يتشاورون في الأمر فيما بينهم ، إلى أن قالت « عالية » :

عالية : لا بد أن أحداً نزرعه من مكانه . . هذا هو التفسير الوحيد !

سمارة : هذا بديهي . . « شلبي » لا يستطيع أن يتحرك وحده . . ولو كانت الريح شديدة لقلنا إنها اقتلعتة !

عارف : ولكن ما هو الداعي لانتزاعه . . أو سرقة ؟ !
عامر : هذا لا يهم الآن . . المهم أن نبحث عن « شلبي » حالاً .

وسأخذ معنا « روميل » ليتعقب بأنفه هذا اللص . . ياله من لص تافه ! لم يجد أمامه غير هذا الخيال فسرقه !

ولكنهم ما كادوا يشرعون في الخروج ، حتى دخلت عليهم « أم شلبي » متهوللة وهي تصيح وتولول .

اندهش المغامرون من تصرفها الغريب ، فسألنها « عالية » .
عالية : ماذا دهاك يا « أم شلبي » ؟ هل حدث لك مكروه ؟ أم

صادفك طارق الليل ؟ ؟ ! . .

أم شلبي : « خيال المائة » يا ستي « عالية » ! ! كان يقف بطل

على برأسه من نافذة المطبخ ! ! . .

سمارة : أنت تتوهمين ! «خيال المائة» لا يمكنه أن يتحرك . .
أوبطل من النوافذ ! ! . .

أم شلبي : بل هو بعينه ! . وعلى رأسه طاقيتك ! ! أطل على
برأسه من النافذة . . ثم اختنى ! ! . .

لم يصدق أحد من المغامرين بطبيعة الحال أن ما رآته «أم شلبي»
كان هو حقيقة «خيال المائة» ! إنها تهرف !

ولكنه من يكون ؟ ؟ . . لا جدال في أن هذا شيء غامض
مخبر ! أتكون «أم شلبي» قصيرة النظر إلى هذا الحد ! ! . .

خرج «عامر» إلى الحديقة وفي يده بطاريتة وسار صوب المطبخ ،
وأخذ يبحث عن «شلبي» . . وعمّا إذا كان لا يزال يطل من خلال
النافذة !

ولكنه لم يعثر بالطبع على شيء على الإطلاق . .

استأنف المغامرون تناول طعامهم . وكانوا يشعرون بالإثارة ممّا
حدث . ولكن لم يخطر على بالهم أن ما رآته «أم شلبي» هو «خيال
المائة» يطل عليها بنفسه من نافذة المطبخ !

عامر : ولكن ليس في هذا حل للمشكلة ! .

عارف : ماذا تقصد ؟ . . أية مشكلة ؟

عامر : أقصد . . أين اختنى «شلبي» ؟ كان أمامنا في الحديقة
منذ وقت قريب . . والآن هو ليس هناك ! فأين ذهب ؟
عالية : دعنا ، نحن نفكر في ذلك الآن . . ربما انتزعه أحد
الفلاحين ليضعه في غيطه !

• • •

وعندما انتهت «أم شلبي» من إطفاء لمبات الجاز ، كان المغامرون
يستغرقون في نوم عميق ، يحلمون بخيال «المائة» الذي اختنى . .
وطارق الليل الغامض الغريب !

أما «روميل» ، الحارس الأمين ، فكان يرقد بجوار سرير
«سمارة» ، وإحدى أذنيه مشرعة إلى أعلى . وهذا يعني أنه لم يكن
مستغرقاً في النوم .

كان «روميل» نصف نائم . . لقد علّمته أحداث اليوم أن يرهف
سمعه ، وكان يشعر بغريزته أن حدثاً ما سوف يقع !

وعندما انتصف الليل ، سمعت تلك الأذن المرفهة صوتاً غير
عادي . لم يكن هذا الصوت هو صوت «السقطة» المدوي الرنان .
بل هو صوت وقع أقدام ضعيف خافت ! . .

وكان «سمارة» يستغرق في أحلامه ، عندما قفز «روميل» وبرك
على صدره وهو يزجر . .

استيقظ «سمارة» مذعوراً ، وأزاح «روميل» من على صدره وهو يتأفف ، وقال :

- ألم أقل لك مائة مرة ألا تفعل ذلك ! سأطردك خارج الغرفة حالاً أيها الشقي ! ..

وإذا بالصوت الضعيف يصل فجأة إلى سمعه ! هذا صوت وقع أقدام ! أتكون لزائر الليل وهو في طريقه ليطرق الباب بالسقطة؟ إذن لا غرابة في أن «روميل» أيقظه ! ياله من كلب حراسة يقظ أمين ! ..

نهض «سمارة» من سريره في هدوء تام . ثم أمسك برقبة «روميل» حتى لا يندفع فجأة وراء مصدر الصوت ، فيفسد بتلك الحركة الهوجاء محاولته للقبض على طارق الليل ، ولكيلا يوقظ المغامرين من نومهم الهنيء ! ..

ففتح الباب ببطء وتسلل منه ، وهو يقول «لروميل» :
- لا صوت ولا حركة يا «روميل» . لقد آن الأوان لأقبض على طارق الليل متلبساً ! .. هذه المرة لن يفلت من يدي ! .. أشكرك يا «روميل» على إيقاظي في الوقت المناسب !



حمل «سمارة» جلد الثور على كتفه ، وخرج يترويح به إلى الحديقة وهناك تدثر به كمعطف .

«سمارة» . . النمر الكاسر ! ! . .



سمارة

تسلل «سمارة» بجلباب النوم
على أطراف أصابعه . وكان
يمسك بيده بطارية كهربائية ،
وباليد الأخرى «روميل» . فقد
كان يخشى أن يفلت منه زمام
الكلب ، فيفضحه نباحه . .
وفلت منه صاحب وقع الأقدام
الدخيل .

كان «سمارة» يتحسس

طريقه حتى وصل إلى الردهة . وهناك أخذ يتصنّت في سكون الليل ،
وهو يربّت ظهر «روميل» لتهدئته . لقد تأكد له الآن أن الصوت
الخافت يأتي من المطبخ ! . .

ولكن المطبخ مقفل بالمفتاح . . و«أم شلبي» ترقد في غرفة
بجاورة ! فمن يكون هناك ؟ . . وكيف دخل ؟ انتابه الخوف ، وأخذ
الشك يساوره .

ولم تكن هناك طريقة لاكتشاف مصدر الصوت ، سوى النظر

خلصة من ثقب المفتاح . انحنى على الثقب فلم ير شيئاً غير شريط من الشعاع القوى مصوب إلى نقطة معينة لم يتبينها من الثقب ! كما وصلت سمعه همسات خافتة !

تعجب «سمارة» لذلك ، فالمتزل يخلو من الكهرباء ! إذن فلا بد أن يكون الشعاع صادراً عن بطارية . . . ابتداء قلبه يدق بشدة . . . أيقنون لصوصاً ؟ . ولكن ماذا يكون في مثل هذا المطبخ الرقيق يجذب انتباه اللصوص . . . أو يستحق السرقة .

رأى أن يخرج إلى الحديقة ، ليطل من نافذة المطبخ ، علّه يكشف ما يجري فيه من أحداث غامضة !

وفي طريقه عبر الصالة توقف فجأة . وأخذ ينظر طويلاً إلى جلد النمر الملقى على الأرضية . يالها من فكرة شيطانية طرأت الآن على باله ! ! !

ماذا لو التحف بجلد النمر ، ودبّ على أربع ، مقلداً سير النمر في الغابة ! لقد سبق أن شاهده وهو يعسّ في أحراش الهند . . . بل اشترك في صيده أيضاً ! وتذكر كم أصابه من ذعر عندما شاهده لأول مرة وهو يقبع فوق «الماشان» !

لاشك أن هذه فكرة سوف تبثّ الرعب في قلوب هؤلاء الطفيلين . وكان يضحك في سرّه عندما تخيلهم وهم يولّون أمامه

الأدبار . . . خوفاً من بطشه وجبروته ! ! !

حمل «سمارة» جلد النمر الثقيل على كتفه وخرج يترنح به إلى الحديقة . وهناك تدثّر به كالمعطف ، فشعر بالدفء في برد الليل القارس . ثم ثبت رأس النمر فوق رأسه كالطاقية ! . . . فبدا كأى نمر مفترس . كم كان بوّده أن يراه المغامرون في هذه اللحظة بزيّه الجديد ! . . .

وما كاد يسير في الحديقة على أربع ، وهو يتجه ناحية النافذة ، حتى شرع «روميل» في الزجرجة الخافتة ! كان «روميل» يحدق فيه بغضب ودهشة ! إنه لم يتعود بعد أن يراه بهذا اللباس الغريب !

ولما وصل «سمارة» إلى النافذة ، شبّ على قدميه ، وارتكز على إفريزها . ونظر إليه «روميل» ، وشبّ على الإفريز كما فعل سيده ! ولدهشة «سمارة» الشديدة وذعره ، فوجئ برؤية ثلاثة رجال أشداء ، تبدو القسوة المتناهية والشرّ في عيونهم . وكان أحدهم يهّم بالخروج من باب حجرة الكرار المفتوح إلى المطبخ ، وهو يحمل صندوقاً خشبياً صغيراً بين ذراعيه ، يكاد ينوء تحت حملة الثقيل ! . . .

وفي وسط المطبخ ، رأى بعض الصناديق الصغيرة الماثلة ، وهي تتراص متجاورة ! ! !

ما هذا الذى يحدث أمامه ؟ إنه لا يصدق عينيه ! أهو فى حلم ؟ !
وكان الرجال يعملون على ضوء بطارية كهربائية قوية مثبتة على
المائدة ، ومصوبة داخل باب الكرار ! ..

وفجأة لم يطق « روميل » صبراً على السكوت . . . فنبح ! !
التفت الرجال نحو النافذة فجحظت عيونهم من الذعر والهلع !
أما الصندوق فقد سقط من يد حامله على الأرض من هول ما رأى !
جمد الرجل فى مكانه ، وتسمرت قدماه فى الأرض ، وصاح
بصوت مرتعش :

- أترى ما أراه يا « عويضة » ! ! انظر خلفك إلى النافذة ! ..
نظر « عويضة » إلى النافذة ، ثم فرك عينيه وهو لا يصدق نفسه ،
وتحسرج صوته ، وقال :

- أصبح ما أرى ! .. أرى نمراً يجاور ثعلباً ! ! أين المقر ؟
لقد هلكنا يا « أبوسريع » ! ! ..

تخير « سمارة » فيما يفعل بعد أن فضحه « روميل » ! فرأى أن
أسلم الأمور هو أن يخلع عنه جلد النمر ، وينصرف مسرعاً إلى الخارج
قبل أن يلحق به اللصوص ! ..

ولكن أحد الرجال قفز وراءه من النافذة فى سرعة البرق ،
وأمسك بتلابيبه . فى حين كان « روميل » يشتبك مع ساق الرجل فى

عراك مرير ، دفاعاً عن سيده . .

ولكن بعد أن تأكد للرجل أنه كلب وليس ثعلباً ، ركله ركلة
أطاحت به بعيداً . ثم سحب « سمارة » إلى المطبخ بعد أن أعطاه علقه
لن ينسى طعمها مدى الحياة ! ..

عويضة : ها أنذا قد أثبت لك بالنمر المفترس يا « أبوسريع » !
أبوسريع : ماشاء الله . . ما معنى هذه الشقاوة ؟ ! ..

سمارة : أنا الذى أسألكم . . ما معنى وجودكم فى منزلنا بعد
منتصف الليل ! .. ليس لكم الحق فى التهجم علينا ! ! ..

لم يلتفت إليه « أبوسريع » . بل أصدر أمره إلى « عويضة » بأن
يزج « بسمارة » داخل حجرة الكرار . . هو وكلبه ! ..

استأنف الرجال عملهم غير آبهين « بسمارة » ، وأخرجوا باقى
الصناديق الخشبية الصغيرة الثقيلة . ثم أغلقوا باب الكرار عليهما
بالمفتاح !

جلس « سمارة » على صندوق خشبى فارغ ، فى حين ربض
« روميل » تحت قدميه وهو يهز ذيله هزاً عنيفاً . وكان « سمارة » ينظر
إليه نظرة لوم وعتاب صامتة ! ألم يكن سبباً فى فضح أمره !

ساد المطبخ السكون التام ، ولم يعد « سمارة » يسمع شيئاً . فتأكد
أن الرجال قد رحلوا ، وحملوا معهم الصناديق الخشبية الصغيرة .

بالسوء الحظ ! لقد كانت الفرصة أمامه سانحة لاقتفاء أثر الرجال ، وعلى وشك أن يكتشف مكان تلك الصناديق ! وربما تمكن أيضاً من الكشف عن هويتهم ! ..

ولكن ماذا يمكن أن تحويه تلك الصناديق ؟ صحيح أنها صغيرة ، ولكنها ثقيلة ، بالكاد يقدر على حملها رجل قوى مثل «عويضة» ، أو «أبوسريع» !

وهل هي تخص والد أصدقائه المغامرين ؟ وإذا كانت تخصه - وهي ولا شك على قدر من القيمة المادية وإلا لما سعى وراءها هؤلاء الرجال - فلماذا يتركها مهملة في هذا المكان المنعزل عرضة للنهب والسلب ! ! ..

ولكن التفكير لم يسعفه .. فهو الآن في ورطة ! إنه سيقضى هذه الليلة الليلاء حبيس الكرار ؛ إلى أن تستيقظ «أم شلبي» في الفجر لتسبى طعام الإفطار . وعندئذ سوف تنهرع إلى نجدته ، بعد أن تفاجأ بوجوده في الكرار ذى المفتاح المفقود ! ! .. لاشك أن «أم شلبي» ستفقد عقلها !

كان «سمارة» يرتجف من البرد . فأضاء بطاريته وأدارها ، فوجد بعض الركائب الفارغة . فاضطجع عليها بعد أن تدثر بواحدة منها .

أما «روميل» فقد رقد داخل مقطف كبير فارغ . . في انتظار الصباح !

...

كان المغامرون نياماً ، فلم يشعر أحد منهم بغياب «سمارة» أو «روميل» . كما كانت «أم شلبي» تجهل ما يجري حولها ، بالرغم من قربها للمطبخ ، فنومها ثقيل !

وعندما استيقظت في الفجر ، خرجت إلى الردهة لتجهز مائدة الإفطار للمغامرين ، ولكنها فوجئت باختفاء جلد النمر ! أصابتها الدهشة ، وبدأ عليها الخوف . أين اختفى ؟ ومن الذى أخذه ؟

إن أحداثاً غريبة تجري حولها منذ وصول هؤلاء الأولاد المغامرين !

وفي الطابق العلوي ، بدأ «عارف» الاستيقاظ . ولكنه لم يجد «سمارة» في سريره المجاور ! فاعتقد أنه ذهب إلى غرفة «عامر» لايقاظه ، أو نزل إلى الردهة . وأخذ «روميل» في نزهته الصباحية !

هبط «عارف» السلم ، فوجد «أم شلبي» تقف وسط الردهة وهي تجول بنظرها هنا وهناك . ولكنه فوجئ مثلها باختفاء جلد النمر !

عارف : أين جلد الثور يا «أم شلبي» ؟ كان هنا حتى مساء
الأمس !

أم شلبي : لا أعلم ! ألم يحمله أحدكم إلى غرف النوم ؟
عارف : ولماذا ؟ إن مكانه هنا ! ولا حاجة لنا به في غرف
النوم !

أم شلبي : ربما سحبه الكلب إلى الحديقة ! فالكلب شقي كما
تعلم !

عارف : وكيف خرج به والباب مغلق ! والنافذة كذلك ...

أم شلبي : آه ... صحيح ... إذن من تظنه أخذه ؟

نظر إليها «عارف» ، ثم ضحك وقال لها :

عارف : يجوز «خيال المآتة» ! !

أم شلبي : هذا ليس بمستبعد ! فكل شيء أصبح جائزاً في هذا
المنزل !

ولما نزل «عامر» و«عالية» ، خرج الجميع إلى الحديقة ، حيث
عثروا على الجلد ملقى بالقرب من نافذة المطبخ .

أخذتهم الدهشة من ذلك ! فلا أحد منهم اقترب من جلد الثور !

عامر : ولكن أين «سمارة» و«روميل» ؟ إنهما مختفيان !

عالية : هذه إحدى الأعيب «سمارة» ! إنه يحب أن يداعبنا !

ولكنها لعبة مكشوفة !

وما كادت «عالية» تتم جملتها ، حتى وصلتهم عبر نافذة المطبخ

صيححات عالية ، ودقات عنيفة ، ونباح «روميل» ...

كان الصوت صوت «سمارة» وهو يصرخ بأعلى صوته :

- الحقوني ! أسرعوا في إخراجنا من الكرار ! نحن مسجونون

هنا ! ! ! النجدة !

عالية : هذا صوت «سمارة» يخرج من الكرار ! ! ولكن من

أدخله الكرار ؟ هذا ملعوب ثان من «سمارة» !

أم شلبي : بسم الله الرحمن الرحيم ! ... هذا مستحيل ! ...

فالكرار مقفل ومفتاحه مفقود ! فكيف دخل ؟ إني سأجن ! ...

أسرع الجميع إلى الداخل ، ووقفوا أمام باب الكرار ، وكان

«سمارة» مازال يصيح ويدق عليه بعنف ! و«روميل» ينبح بجواره !

عامر : أين المفتاح يا «سمارة» ؟ أنا لا أرى مفتاحاً هنا ! كيف

دخلت ؟ أو من أدخلك ؟

سمارة : مع هؤلاء الوحوش ! أخذوه معهم ! ! اكسر الباب

بسرعة كدنا نختنق !

صمت الجميع وهم حيارى ! كيف دخل «سمارة» ؟ ومن هم

هؤلاء الوحوش الذين أخذوا معهم المفتاح ؟ هذا المفتاح الذي

لا وجود له ! ! .. إن الأمور تزداد تعقيداً !

عارف : ما العمل الآن والمفتاح مع والدتنا ! .. هل سننتظر وصولها حتى يَحْتَنق «سمارة» ؟ ! ..

عامر : ليس أمامنا إلا تحطيم الباب .. يجب إنقاذه فوراً ! ..
عالية : لا داعي لكسر الباب ! .. لنجرب مفاتيح المنزل ..
قد يفتح أحدها !

نجحت فكرة «عالية» أخيراً .. وتمكنوا من إنقاذ «سمارة» ! ..
وماكاد «سمارة» يرى ضوء النهار ، حتى اندفع خارجاً كالصاروخ وهو يلهث ، يتبعه «روميل» مطأطئ الرأس !
يا لها من ليلة عصبية قضاها في هذا الكرار الضيق المظلم ! .. إن ذكرها لن تفارقه مدى الحياة !



لغز طارق الليل ! !

وقف «سمارة» أمام المغامرين وهو مطرق الرأس ، وأخذ «عامر» في استجوابه . فقال له :

عامر : ما الذي جاء بك هنا يا «سمارة» ؟ كيف دخلت الكرار ؟

سمارة : لقد عانيت كثيراً من البرد في الداخل ! ولكنني

استعنت بروميل .. كنت أحتضنه كالقربة الساخنة !

عارف : أسألك ماذا كنت تفعل داخل الكرار ؟ ومن حبسك ؟
أجب ! ..

سمارة : يا لها من مغامرة رهيبة اجتريتها ليلة أمس ! بدأت بأن سمعت صوتاً بعد منتصف الليل .. فتزلت لأعرف مصدره .. وكنت أظنه طارق الليل ! ! .. ولم أشأ إزعاج أحد منكم !
عالية : يالك من جرىء يا «سمارة» ! ! ..



عالية

بدأ «سمارة» في رواية ما مرّ به من أحداث الأمس وقصّ عليهم تجربته المثيرة مع جلد النمر ونقل لحم ما رآه . . .

دهش الجميع عند سماعهم قصة الصناديق ، وقالت «أم شلبي» :
كيف ذلك ؟ أنا قفلت باب الكرار بنفسى بالمفتاح قبل انصرافى
للنوم . . وحسب علمى لا توجد صناديق داخل الكرار ! ! . .
سمارة : ولكنه كان مفتوحاً ! أما الآن فهو مغلق بالمفتاح . .
وبالمزلاج من الداخل كما ترين ! ورأيت الصناديق بعينى رأسى !
عالية : آه . . الشباك ! لقد دخلوا وخرجوا عن طريقه ! إن
أكرته مكسورة !

أم شلبي : لقد وعدنى «أبو شلبي» أن يرسل أحداً لإصلاحه
اليوم !

عامر : وما الفائدة ! بعد أن وقع المحذور . . وسبقنا هؤلاء
للصوص ! ولكن كل ذلك لا يهم . . المهم فى الصناديق ! . .
ما هى حكاية الصناديق هذه ؟ ! ! . . .

كانت الأحداث التى مرّت بهم فى المنزل الصغير المنعزل عجيبة !
ولكن كان أعجبها بلا شك وأخطرها ، هو حادث الصناديق الثقيلة
الصغيرة المحبأة فى الكرار ، والاستيلاء عليها خلصة بعد منتصف

الليل ، ثم حملها إلى حيث لا أحد يعلم !

وكان «عامر» يتحدث إليهم وهم يلتفون حول المائدة فى الردهة ،
فقال : لقد بدأت الآن الحوادث التى مرّت بنا تتجمّع وترتبط وتنجلي
قليلاً ! . . وفى إمكاننا أن نخرج منها بنتيجة !

عارف : كيف ؟ فما صلة طارق الليل الغامض مثلاً . . بالرجل
الذى كان يتلصص علينا من الحديقة ؟ أو القفاز الغليظ ؟ أو الضيف
المجهول الذى احتلّ الدوّار ! !

سمارة : وما الصلة بين هذا كله ، وبين «خيال المائة» الذى أطلّ
على «أم شلبي» من النافذة ، وكاد يصيبها بالجنون ! ! . .

عامر : أنت أخطأت يا «سمارة» عندما انفردت وحدك باكتشاف
مصدر الصوت ! كان الواجب أن نتكاتف معاً ! ربما كنّا أقدر
عندئذ على القبض على هؤلاء الأشرار . . وسجنهم فى الكرار . . بدلاً
من أن يسجنوك أنت و«روميل» ، لقد أتحت لهم بعملك هذا فرصة
الفرار !

عالية : أنت تقول يا «عامر» إن الأمور ابتدأت تتكشف لك !
وأن فى إمكاننا أن نخرج منها بنتيجة . . كيف ؟

أخذ «عامر» يفكر طويلاً . . والجميع ينتظرون حوله وقد نفد
صبرهم لكى يفصح لهم عما يدور فى ذهنه . وأخيراً قال :

عامر : اسمعوا ! .. لم يكن مجيئنا إلى هذا المنزل في الحسبان ..
أليس كذلك ؟ . بل وصلنا هنا فجأة بمناسبة إجازة نصف السنة !
وكان ذلك على أثر فكرة عارضة طرأت ليأباً . ! وكان المفروض أن
يظلّ المنزل مغلقاً حتى الصيف .. حيث كنا ستقضى فيه إجازتنا
الصيفية الطويلة !

عارف : هذا صحيح .. والبلدة كلها على علم بذلك .. ولم
يكن أحد ينتظر وصولنا ! !

عامر : أليست هذه فرصة ذهبية يمكن أن ينتهزها بعض الأشرار
لاستغلال هذا المأوى الفريد ؟ !

عالية : كأن يجتثوا فيه مثلاً بعض البضائع المسروقة ..
أو المهربات ..

عارف : هذا جائز جداً ، فالمنزل بعيد عن الأنظار .. وأصحابه
فوق كل شبهة ! لن يشك أحد في والدنا .. أوفينا !

عامر : فاقتحموا المنزل عنوة .. أو دخلوه من نافذة المطبخ ..
وصنعوا مفاتيح لجميع الأبواب ، وهذا سهل ! وجاءوا ببضاعتهم
أو مهرباتهم وأخفوها في الكرار .. وأخذوا مفتاحه معهم !

عالية : إلى أن يحين الوقت المناسب لإخراجها ! كما حدث !
سمارة : ولكنني كشفت سرهم .. وأفسدت عليهم خططهم !

وكدت أقبض عليهم ! ! ..

عامر : مضبوط ! وقلب وصولنا المفاجئ إلى المنزل خططهم ظهراً
على عقب ! وكان لابد لهم من إبعادنا عن المنزل !
عالية : ولذلك كان واحد منهم يتجسس علينا من الحديقة ..
وأسقط قفازه في الخص الصغير !

عارف : هذا مفهوم ! .. ولكنني لا أفهم أن يطرق أحدهم
الباب ليلاً .. ثم يختنق بطريقة غامضة ! هذا عمل صبيانى ! ..
سمارة : ولا كيف ولماذا يطل « خيال المائة » على « أم شلبي » ..
وأنا أعتقد الآن أن « أم شلبي » لم تكن واهمة حينما كانت ترى خيال
المائة وهو يطل عليها .

عامر : نعم .. هي صادقة في قولها .. والتفسير الوحيد لكل
ما حدث هو محاولة إرهابنا بمثل هذه الألاعيب الصبائية المكشوفة
لكي نرحل عن المنزل .. ونتركه لهم يعيشون فيه فساداً !

عارف : أو على الأقل حتى ينقلوا بضائعهم إلى الخارج !
سمارة : نظريتك صحيحة يا « عامر » .. والآن أنا متأكد أن
الطارق الليلي هو « عويضة » بعينه ! لا أحد غيره يمكنه أن يطرق
الباب بهذه القوة .. إن يده ثقيلة غليظة .. لقد ذقت طعمها
بنفسي ! ! !

عامر : ولما فشلت خطتهم في إرهابنا وإبعادنا . . لم يجدوا بداً من إخراج الصناديق من الكرار . . ونقلها إلى مكان أكثر أمناً . . ولكن «سمارة» أفسد عليهم غرضهم ! وكشف سرهم !
عالية : ولكنهم مع ذلك تمكنوا من نقلها بعيداً . . وهي الآن في حوزتهم !

عامر : مهمتنا الآن أن نعرف ما بداخل الصناديق . . وأين أخفوها ! قد يكون الأمر بالغ الخطورة ! . . وإننا نسعى وراء عصابة رهيبة !

عارف : وماذا علينا الآن أن نفعله ؟ . .

عامر : أن نفتني أثرهم ! إذ لا بد أنهم تركوا وراءهم آثاراً واضحة ، وهم يفرون بحملهم الثقيل ! .

عالية : الآن وقد وضح أمامنا كل شيء . . فقط لدى سؤال أرجو أن يجيبني أحدكم عنه ! . .

عامر : وما هو يا «عالية» . . أظن أنه لم يعد أمامنا شيء غامض !

عالية : تذكر أن الطارق الليلي ترك بصمات قدميه وهو يسير في اتجاه واحد . . أي في أثناء وصوله حتى الباب . . ولكنه لم يترك أثراً لعودته ! . . فأين ذهب ؟ هل تبخر في الهواء ؟ . . أو انشقت عنه

الأرض ؟

لم يجيبها أحد عن سؤالها . . بل كانوا ينظرون إلى بعضهم بعضاً وهم في حيرة شديدة . . إذ لم يكن من السهل حلّ هذا الغموض ! خرجوا إلى الحديقة ليروا ماذا يمكنهم التوصل إليه . في حين تخلّفت «عالية» لتساعد «أم شلبي» في قضاء بعض الشئون المنزلية . وكانت «عالية» تروى لها ما توصل إليه «عامر» بذكائه واستنتاجه .

أم شلبي : كل ما أعرفه أني لا أستريح لما يجري حولي . . كان الحال هادئاً قبل مجيئكم ! . .

عالية : لم يعد هناك ما يخيفك . . ولا داعي بعد الآن لحمل يد «الهاون» ! ! أو غلى الماء ! . . لقد رحلوا إلى غير عودة !

وبينا هما في حديثهما ، و«عالية» تحاول عبثاً تهديتها وإبعاد الخوف والشك عنها ، إذ دخل عليهما «عامر» وهو مهلّل الوجه ، منفرج الأسارير ، وقال :

عامر : أبشرى يا «عالية» لقد توصلت إلى حلّ لغز الطارق الليلي !

أم شلبي : إذن فهو لم يتبخر في الهواء . . أو تنشق عنه الأرض ؟ !

عامر : بالعكس . . فالمسألة بسيطة جداً . . ولكن ككل شيء

بسيط فهو بعيد عن الإدراك بسهولة، لقد سار «عويضة» القهقري
بظهره أثناء عودته بعد طُرق الباب . . وكان يضع قدميه في نفس
البصمات التي خلفها أثناء ذهابه إلى المنزل ! ! ! . .

عالية : يالك من ذكي يا «عامر» . . لم يخطر هذا على بالي
أبداً . . هكذا تمكن هذا الشقي من خداعنا بكل بساطة ! . .
عامر : والآن هيا بنا في أثر الأشقياء إلى حيث أخفوا
الصناديق . . وسيرشدنا «روميل» إلى مخبئهم !

ذهب المغامرون ليستقلوا دراجاتهم . ولكنهم عندما وصلوا إلى
حيث تركوها بجوار جدار المنزل ، فوجئوا باختفائها ! ! . .
أين ذهبت الدراجات ؟ فالدراجة لا تسير وحدها ! . .
أصيب المغامرون بالدهشة وخيبة الأمل . وأخذوا يفتشون عنها في
أرجاء الحديقة دون جدوى ! . .

عارف : من يكون أخذها ياترى ؟ . . إنه أكثر من رجل !
فرجل واحد لا يمكنه أن يقود ثلاث دراجات !
عامر : «عويضة» و«أبوسريع» ومعهما شخص ثالث وأظن أني
أعرف السبب ! !

عالية : كلنا يعرف السبب ! . . لينقلوا عليها الصناديق الثقيلة !
والأ كيف كانوا سينقلونها ؟ ! . .

كانت «عالية» مصيبة في ظنّها . إذ أنهم سرعان ما اكتشفوا آثار
العجلات الغائرة بحملها الثقيل ، تبدو واضحة في الأرض الطينية
اللينة !

عامر : انظروا ! هذا هو أثر إحدى الدراجات . . وهذا هو
الثاني . . وهناك الثالث . . . والآ . . إلى المخبأ السري ! هيا في
المقدمة يا «روميل» ! ! . . سنرى أين تقودنا هذه العلامات ! . .



نعير الساقية !

سار المغامرون وهم يتتبعون
آثار العجلات الغائرة . وكان
« روميل » في المقدمة ، وأنفه
الحساسة تلاصق الأرض .
عامر : والآن سنرى إلى أين
ستؤدى بنا هذه الآثار .

عارف : أرجو ألا ينتهى بنا
المطاف إلى المزارع . . حيث
تندثر معالمها !

عالية : أو إلى طريق مسدود أو مرصوف . . فلا يظهر لها أثر !
سمارة : أو إلى الترعة . . فالماء بارد يصعب الغوص فيه غير ما به
من مصادر الأمراض الخطيرة ! . . !

خرجوا من البوابة إلى الطريق الضيق المخاضى للترعة ، وكانوا
يسرعون الخطى للحاق « بروميل » . لقد كفاهم مؤونة التطلّع إلى
الطريق تحت أقدامهم للبحث عن الآثار . كان « روميل » يقوم عنهم
بهذه المهمة خير قيام !



ولكنهم ما كادوا يتتعدون عن المنزل قرابة المائة متر ، حتى شاهدوا
« روميل » يتوقف فجأة !

عامر : إنه توقف بجوار الساقية ! لماذا ؟ . . فليس فيها ما يلفت
النظر !

سمارة : ربما تمهل لكى نلحق به ! . .

عالية : أو ربما اكتشف شيئاً غريباً !

وعندما لحق به المغامرون وجدوه يربض بجوار الساقية ، وهو ينبح
نباحاً عالياً متواصلاً !

عامر : غريب أمر « روميل » ! ماذا لفت نظره في هذه الساقية
الخربة المهجورة ؟ ! . .

تجمع المغامرون حول الساقية وهم يبحثون حولها تارة ، ويطلّون
في خزانها العميق الجاف المهمل !

ولكنهم لم يجدوا شيئاً يلفت النظر ! إن الحشائش تنمو في قاع
البئر . ولو كان هناك صندوق واحد ملقى في قاعه لظهر وبان ! . .
هذا فضلاً عن أن قواديس الساقية المعدنية قد علاها الصدأ .
إنها فارغة فلم تستعمل والأرض حولها جافة منذ سنوات طويلة
مضت !

أما الحظيرة المجاورة للساقية فكانت كما هي . . حوائطها متآكلة . .

وجدرانها منهمة ! .. إنها لا تصلح الآن لايواء أعجل صغير !
أيهكون « روميل » قد أخطأ ! لا ! إن شيئاً ما قد شدَّ انتباهه إلى هذا
المكان !

وفجأة تركهم « روميل » وعدا نحو الحظيرة ودخلها . ثم أخذ ينبح
عليهم . وكأنه يدعوهم إليه !

هرع إليه « سمارة » وما كاد يدخل الحظيرة ورائه حتى سمعوا صوته
وهو ينادى عليهم قائلاً :

سمارة : تعالوا بسرعة ! .. انظروا ماذا كشف عنه « روميل » !
إنها مفاجأة العمر ! ..

شاهد المغامرون كوماً كبيراً من القش ، كان « روميل » يعمل في
إزالته بهمة ونشاط .

وهنا ظهرت تحته الدراجات الثلاث ملقاة على الأرض ! !
بالفرحة التي غمرتهم فجأة ! ها هي في دراجاتهم عادت
إليهم !

عارف : الحمد لله . . لقد عثرنا على دراجاتنا . .
عامر : سنتركها هنا كما هي . . وإلا انكشفنا ! .. ووجود
الدراجات في هذه البقعة مؤشر طيب ! إننا سوف نعثر على بُعيتنا
قريباً !



عمل روميل على إزالة كومة القش . . فظهرت تحته الدراجات الثلاث .

عالية : لابد أن تكون الصناديق قريبة من هذا المكان . .
ماداموا نقلوها على الدراجات ! .

سمارة : ولكن أين ! ! فالمزارع مترامية الأطراف ! أوروبما ألقوا
بها في التربة ! ! . .

نعم ! هذا هو السؤال ! أين هي الصناديق ؟ ؟ . . أتكون في قاع
التربة ؟ أو وسط المزارع ؟ أو مدفونة تحت الأرض ؟ أو ملقاة في
الساقية المهجورة ؟ أوليست في أحد هذه الأماكن على الإطلاق ؟
كل هذا محتمل !

عارف : من المحتمل أن يكونوا قد وصلوا بالصناديق إلى هذا
المكان ثم نقلوها بعيداً في سيارة !

عامر : افترض محتمل ! المهم أن نجد في البحث عنها بآية
وسيلة !

عالية : أعتقد أنها ليست بعيدة عن هذه البقعة . فلا طريق هنا
يصلح لسير السيارات ! ! . . لابد أن يتركوها هنا . .

جلس المغامرون على عجلة الساقية الخشبية يتشاورون في أمرهم .
وأخيراً استقر رأيهم على أن يأخذ كل منهم طريقاً وسط الزرع . لعلهم
يعثرون على ضالتهم .

ولكن « روميل » رفض أن يترحل عن مكانه بجوار

الساقية ! ! . . ياله من كلب عنيد !

حاول « سمارة » إثناءه عن عزمه وعناده . . ولكنه أخفق ! وكان

كلما قاده بعيداً ، هرب منه ليعود ويجلس بجوار الساقية !
عامر : الصناديق هنا ! ! . . أغلب الظن في هذه
الساقية ! ! . .

عارف : هذا مستحيل ! فكما ترى لا شيء في الساقية ! ولا أثر
لحفر ، فالخشائش القديمة تنمو في قاع البئر !
عامر : لا شيء مستحيل ؟ المستحيل هو أن تخطئ غريزة
الكلب ؟ ؟

سمارة : أوافقك يا « عامر » . . « روميل » لا يخطئ أبداً ! !
ساد الصمت بينهم لفترة طويلة ، وكلّ منهم يفتق ذهنه عن أيسر
السبل للتوصل إلى مكان الصناديق ! إلى أن نطق « سمارة » وقال :

سمارة : أنا متطوع للتزول في بئر الساقية ! ! . .
عالية : لا يا « سمارة » ! ففي هذا العمل خطورة كبيرة عليك . .
قد تكون هذه البئر جبالاً للشعابين ! ! . .

سمارة : يمكنني أن أتدلى بجبل حتى لا ألمس القاع ! ومع ذلك
فأنا لا أخاف الشعابين . . فكثيراً ما قتلتها في صحراء مرسى
مطروح ! . .

عالية : ولا هذا . . . قد ينقطع بك الحبل ! فتسقط في البئر
ويدقّ عنقك !

لم يجد المغامرون بعد ذلك ما يمكنهم أن يفعلوه ، بعد أن أزف
موعد الغداء . فانصرفوا إلى المنزل ، على أن يعاودوا التفكير والبحث
والتنقيب في وقت آخر . . .

...

عاود المغامرون البحث في كل مكان طوال اليوم ، حتى هجم
عليهم الظلام . ولكنهم باءوا بالفشل . ومع ذلك لم يساورهم
اليأس ، بل ازدادوا تصميماً فوق تصميم ! فأرجئوا البحث إلى اليوم
التالي .

وفي الصباح الباكر ، كان « عامر » و « عالية » يرتديان ملابسهما ،
عندما استأذنت « أم شلبي » في الدخول إلى غرفتهما . .
نظر إليها « عامر » فلاحظ الاضطراب الشديد على وجهها ،
فسألها :

عامر : ماذا بك يا « أم شلبي » ؟ هل زارك « خيال المائة
ثانية » ؟ ! . .

أم شلبي : بل حدث شيء أغرب بالأمس ! أغرب من ظهور
خيال المائة . . !

عامر : ليس هذا بجديد علينا . . خيراً يا « أم شلبي » !
تكلمي ! . .

أم شلبي : استيقظت بالأمس بعد منتصف الليل على صوت
غريب !

عامر : تعين أن الطارق الليلي عاود لعبته معنا !
أم شلبي : كلاً . . بل سمعت صوتاً لم يسمعه أحد في هذه
الناحية منذ سنين طويلة ! كان قد اختفى . . ولكنه ظهر من جديد !
عالية : وما هو ؟

أم شلبي : صوت نعير الساقية ! ! . .
عامر : وما الغرابة في ذلك : فالسواقي منتشرة في الأرياف !
ربما كان أحد الفلاحين يسقي زراعته ليلاً ! . .

أم شلبي : ولكن لا توجد في زمام « سنديون » كلها غير ساقيتكم
المهجورة ! كان الصوت صوتها ! فأنا أميزه عن باقي السواقي ! . .
عامر : ربما كنت تحلمين ! ! . . وهل استمر نعيها
طويلاً ؟ ! . .

أم شلبي : لا . . لدقائق معدودات . . ولكنه وصل أذني
واضحاً عالياً في سكون الليل ! . لقد أيقظني من نومي مع أن نومي
ثقيل !

نظر «عامر» إلى «عالية» نظرة ذات معنى ، ثم قال :
عامر : ربما كنت تحلمين يا «أم شلبي» . . . وعلى العموم لا أهمية
لذلك . . . دارت الساقية أو توقفت !

أم شلبي : أنا خائفة !

عالية : وماذا يخيفك من دوران الساقية ؟

أم شلبي : من الذى يدير ساقية مهجورة وجافة ؟ وبعد منتصف
الليل ! ! . . .

وبعد أن هدأت «عالية» من روع «أم شلبي» . انصرف
المغامرون إلى الحديقة ، حيث عقدوا اجتماعاً عاجلاً فيما بينهم لدراسة
هذا التطور الأخير أو العمل فى ضوء ما قد يستخرجونه من
نتائج ! . . .

عامر : تقول «أم شلبي» إنها سمعت صوت الساقية بعد منتصف
الليل . وهذا يعنى أن الساقية دارت بالفعل ! فأذن الفلاحة لا تخطئ
صوت نعيها . . . فهو كصوت الموسيقى فى أذننا !

عارف : هذه واقعة هامة . . . بل نقطة التحول فى بحثنا عن
الصناديق !

عامر : تماماً ! من الآن . . . سوف نركز بحثنا فى الساقية .

عالية : طرأت على بالى فكرة ! ! . . .

عارف : هات ما عندك يا «عالية» من أفكار نيرة !

عالية : سندير الساقية بأنفسنا . . ونرى ماذا سيحدث ! !

سمارة : كيف ؟ لقد حاولنا مرة فاستعصت علينا !

عالية : لم أقصد أن نديرها بأيدينا !

سمارة : إذن كيف سنديرها ؟

عالية : سنستعير جاموسة «أبو شلبي» . . وهو لن يبخل بها
علينا ! . . .

هذه فكرة صائبة لا بأس من تجربتها ! لماذا لا يستعيرون
الجاموسة ويربطونها فى الساقية ويديرونها ؟ ! . . كيف لم تخطر على
بالهم هذه الفكرة من قبل ! إنهم لن يخسروا شيئاً ! . . .

وحتى إذا لم يتوصلوا إلى الكشف عن الصناديق ، فإنهم سيقضون
على الأقل وقتاً طيباً فى الاستمتاع بصوتها الموسيقى ! . . .

أما إذا أسعفهم الحظ وكشفت لهم الساقية عن سر لغز الصناديق
الخشبية الثقيلة ! ! فهذا موضوع آخر ! !

عارف : أية مشكلة ! إن المسألة واضحة ! وأصبحت مغامرتنا

على وشك الانتهاء !

عامر : بالعكس . . . إنها لم تبدأ بعد ! ! . . . أما المشكلة فهي كيف سنبرّر «أم شلبي» حاجتنا إلى جاموستها ؟ فنحن نريد أن يبقى الأمر سرّاً فيما بيننا !

سمارة : صحيح هذه مشكلة ! لو طلبنا منها حماراً لكان الأمر ! أما الجاموسة فلا . . . فليس من السهل على الفلاح أن يقرط في جاموسته !

عالية : وحتى إذا حصلنا على الجاموسة ، فليست لدينا الخبرة لإدارة الساقية ! . . . هذه مسألة فنية !

سمارة : أنا أعرف كيف ! لا تحملوا همّاً ! . . .

عامر : إذن سنترك لك يا «عالية» مهمة مفاوضة «أم شلبي» في طلب الجاموسة ! ما رأيك ؟

عالية : وهو كذلك . . .

° ° °

تولّت «عالية» مكاشفة «أم شلبي» بلباقتها وكياستها . وأخيراً نجحت في إقناعها بالتوجه فوراً إلى زوجها حيث يعمل في الغيط ،

قوالب الطوب !!

رأى «عامر» ضرورة معاينة الساقية مرة أخرى قبل أن يديرها . إذ لو صحت رواية «أم شلبي» ، لكان لابد من أن يترك الأشقياء آثارهم ، فضلاً عن آثار حوافر الجاموسة التي أدارت الساقية ! ! . . .

ولما ذهبوا إلى الموقع ، شاهدوا الآثار بادية للعيان .

وكانت أظهرها حوافر الجاموسة وهي تحيط بالساقية . كما أن مخلفاتها كانت تتناثر هنا وهناك . . .

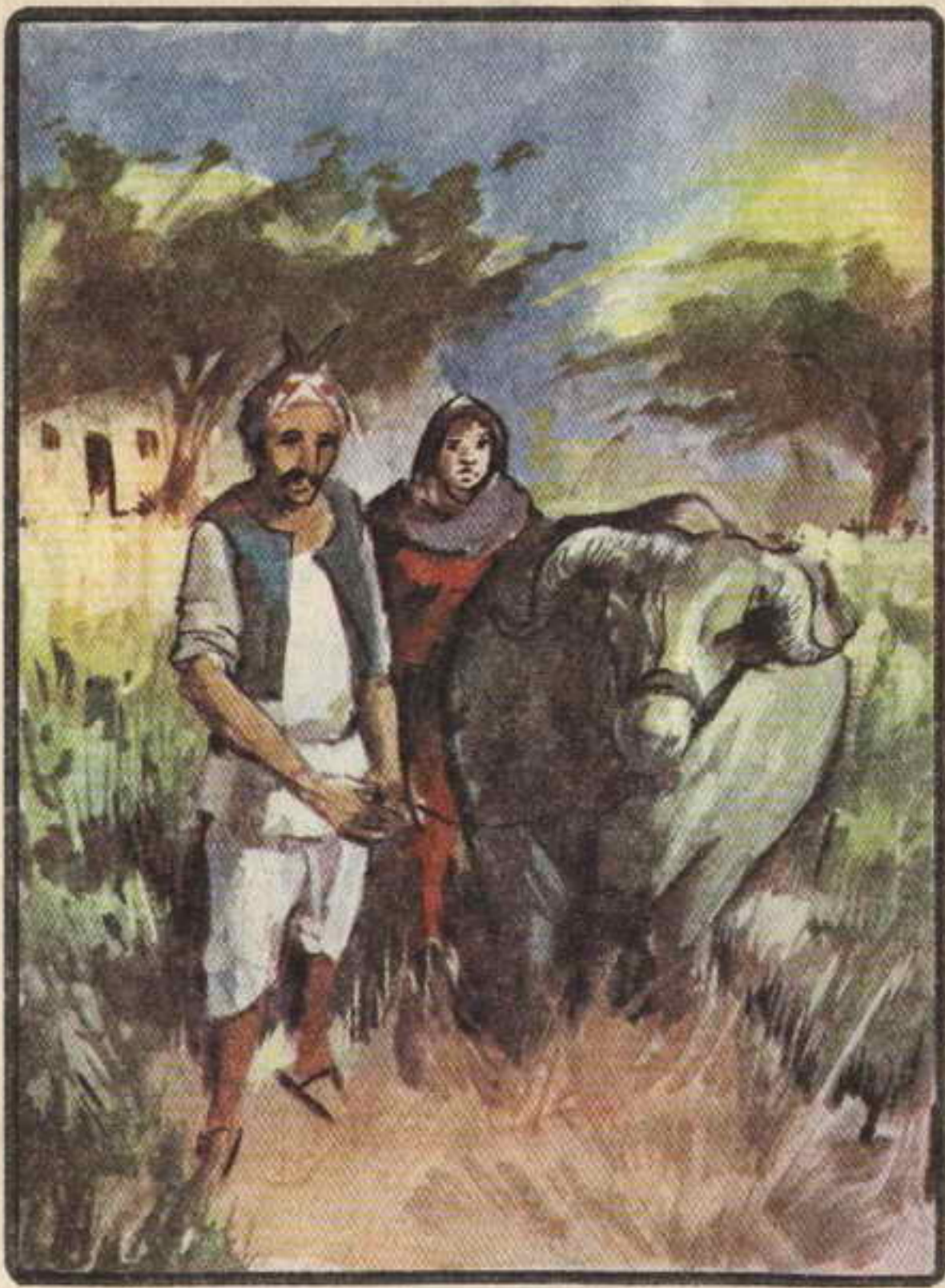
إذن لم تكن «أم شلبي» تحلم بنعير الساقية ! !

هّلل المغامرون لهذا الكشف المثير . إنهم أصبحوا الآن على قاب قوسين أو أدنى من العثور على الصناديق ، وإمالة اللثام عما يدور حولهم من أحداث !

عامر : لم يبق أمامنا الآن إلا مشكلة واحدة . . . ولكنها مشكلة



عارف



بعد ساعة وصلت «أم شلبي» بصحبة زوجها وهو يقود الجاموسة

وإحضاره مع الجاموسة !

وبعد ساعة وصلت «أم شلبي» بصحبة زوجها وهو يقود
الجاموسة وهي تتهادى وراءه !

كان «صميذة» ، أوكما ينادونه في الناحية باسم «أبو شلبي» ،
عنواناً على الفلاح المصرى الطيب . ولم يكن يدرى بما يدور فى المنزل
من حوادث عجيبة . فلا وقت عنده لتصديق مثل هذه الترهات التى
تروىها له زوجته من آن لآخر . ! إنه يفلح غيطه من شروق الشمس
حتى غروبها .

صميذة : صباح الخير . . ! سمعت من «أم شلبي» أشياء غير
معقولة ! هى دائماً كلامها كثير .

عامر : وما رأيك أنت فى ذلك ؟

صميذة : «أم شلبي» تقول إن «خيال المائة» طلّ عليها من
الشباك ! ! ! الظاهر أنها تهلوس ! ! . .

عامر : «خيال المائة» اختفى من مكانه ! هذه واقعة تأكدنا منها
بأنفسنا !

صميذة : أنا الذى ثبتته يدي فى الأرض ! كيف يخفى ؟ وأين
ذهب ؟

عامر : المهم الآن أننا فى حاجة إلى مساعدتك فى إدارة

صميدة : تقول « أم شلبي » إن هناك صناديق في البئر ! ! . .
 فقلت لها . . ليس في البئر غير الحشائش والشعابين ! . .
 عامر : على كل حال فلنجرب ! والمثل يقول : « المية تكذب
 الغطاس » ! !

كان المغامرون يقفون حول الساقية وهم في أشد حالات القلق .
 فما هي إلا دقائق معدودات يتحقق بعدها إما فشلهم أو نجاحهم ! قد
 ينجلي بعدها سرّ اللغز الغامض . . أو قد يزيد تعقيداً !
 وكان « صميدة » ينهمك في ربط الجاموسة في عجلة الساقية
 عندما أطلّ برأسه في قاع البئر وقال :
 صميدة : لا تضيّعوا وقتكم ! فقاع البئر فارغ ! إلا من
 الحشائش والشعابين !

عامر : قاع البئر ! ! نحن لا نبحث في قاع البئر ! ! . .
 صميدة : « أم شلبي » تقول إنكم تبحثون هنا عن صناديق !
 ولهذا السبب تركت عملي في الغيط !
 عامر : إننا في الحقيقة لا نبحث عن الصناديق ! ! فالصناديق
 لا تهمنّا !

صميدة : إذن أنتم تضيّعون وقتي ! سأرجع إلى الغيط
بجاموستي ! ..

عالية : إننا لا نبحث عن الصناديق ذاتها ، بل على
محتوياتها ! ! ! ..

صميدة : سيّان ! فالخزان فارغ ..

عامر : الخزان لا يهمننا في شيء ! .. إنما تهمننا القواديس ! ! !
انفرجت أسارير « صميدة » بعد أن كان متجهماً ، وقال :

صميدة : آه .. الآن فقط فهمت ! ..

عامر : أخيراً ! الحمد لله .. نحن نعتقد أن الأشقياء أفرغوا
المحتويات من الصناديق ، وأنضفوها داخل عدد من القواديس ..

عارف : ثم أداروا الساقية حتى تستقر هذه القواديس أسفل
العجلة في قاع البئر ليحجبوها عن الرؤية ! ..

عالية : ولما كانت الصناديق صغيرة الحجم ، ثقيلة الوزن ،
فنحن على يقين من أن محتوياتها لا بد أن تكون ثمينة جداً ! ..

عامر : والآن أدر لنا الساقية حتى تظهر لنا القواديس السفلية ..
مقدار نصف دورة فقط !

ساد الصمت ولم يعد يُسمع غير نعير الساقية . في حين كانت
أنظار المغامرين معلقة على القواديس المعدنية الصلبة !

وما كادت القواديس تصل إلى متناول يد « عامر » حتى أمر
بإيقاف الساقية . وتقدم ببطء وألقى نظرة داخل أول قادوس في
مستوى نظره .

فغر « عامر » فاه من الدهشة ، وانعقد لسانه عن الكلام ! ثم مدّ
يده في بطن داخل القادوس وأخرج شيئاً !

كان ما أخرجه أشبه بقلب الطوب ، محفور عليه بعض الأرقام .
وكان القلب ثقيل الوزن ، حتى كاد يسقط من يده في قاع الساقية !
ما هذا الذي يراه ؟ أهى قوالب من رصاص !

وعندما رأى « صميدة » ما في يده ، ظهرت على محياه إمارات
الحيرة وقال :

صميدة : أكلّ هذا التعب من أجل حفنة من قوالب
الطوب ! ! ! ..

وبعد أن ذهبت الدهشة والمفاجأة من « عامر » صاح قائلاً :
سبائك ذهبية ! ! ! سبائك ذهبية ! !

كانت السبائك الذهبية تملأ أربعة قواديس . وكل قادوس منها
يحتوي على عشر سبائك ! أربعون سبيكة بالتمام والكمال !

أذهلت المفاجأة الجميع ، فجلسوا على الأرض لبعض الوقت
وكانّ على رؤوسهم الطير . ثم أخذوا يتباحثون فيما يجب عمله . بهذه

السبائك الذهبية . فالمسألة لم تعد تقتصر الآن على البحث عن بعض الصناديق الخشبية ! بل هي أخطر من ذلك وأدهى ! . .
شدّد « عامر » على « صميذة » و« أم شلبي » أن يتكتما الخبر ، إذ لو وصل سرّ هذا الاكتشاف إلى العصابة ، لكان لها معهم شأن آخر !
أوعلى الأقل لاذت بالفرار ، وهو ما يعمل المغامرون على تفاديه بأى ثمن .

إن هدفهم هو تسليم المجرمين إلى يد العدالة ، لينالوا قصاصهم العادل .

وبعد أخذ وردّ ، استقرّ الرأى على ترك السبائك الذهبية مؤقتاً فى مكانها داخل القواديس . وذلك حتى تطمئن العصابة إلى عدم تسرّب سرّها !

إن المسألة الآن لا تقتصر على اتّجار عصابة فى بعض سلع أو مهربات . بل هي أخطر ممّا كانوا يتوقعون ! إن المسألة تمسّ أمن الدولة ، فتهدد الذهب يضرّ باقتصادها ضرراً بليغاً !

وليس الهدف الآن من عملهم هو العثور على الذهب وتسليمه فقط ، بل القبض على هؤلاء المجرمين لإيقاف نشاطهم ، وعدم تكراره مستقبلاً !

عامر : هيّا بنا الآن إلى المنزل . . لا خوف على السبائك هنا . .

لا أعتقد أن العصابة ستظهر فى وضوح النهار لنقلها .
عارف : يجب الاتصال أولاً بوالدنا بأية وسيلة . . لا بد من حضوره فوراً !

عالية : لنحاول مرة أخرى من تليفون العمدة . . لعلمهم أصلحوا الخطّ .

• • •

وعندما وصل المغامرون إلى المنزل ، وجدوا فى انتظارهم إشارة عاجلة من العمدة . قالت الإشارة إن الخطّ أصلح ، وأن والدهم يطلب منهم ضرورة الاتصال به فوراً ليطمئن على حالهم .

عامر : سأذهب حالاً إلى دار العمدة لأخبر والدنا بما حدث ، وأسأله المشورة ! والحضور فى الحال . .

عارف : ونحن . . ماذا نصنع ؟
عامر : عليك أنت بملازمة « عالية » و« أم شلبي » بالمنزل ، وإياك أن تفارقها لحظة واحدة حتى أرجع . .

سمارة : وأنا . . .
عامر : أنت ستجرس الكتر ! ستصيد السمك من التربة قريباً من الساقية . . وإياك أن يلهيك الصيد عن المراقبة . . ولا تنس أن تأخذ « روميل » معك !

دخل « عامر » منزل العمدة وهو يلهث ، واتصل بوالده

الوالد : مالك تلهث يا « عامر » ؟

عامر : جئت إلى دار العمدة عدواً ؟

الوالد : ولماذا هذه العجلة ؟ هل هناك ما يستدعي منك العدو ؟

عامر : المسألة عاجلة وخطيرة ! وتستوجب حضورك !

الوالد : خطيرة ! ! أية مسألة ؟ هل حدث لأحدكم مكروه ؟

عامر : أبداً . . نحن بخير . . فقط لا يمكنني أن أصرح في

التليفون !

الوالد : هذا ما كنا نعمل حسابه ! ! لا بد أنكم انغمستم في

مغامرة جديدة ! .

عامر : نرجوك يا بابا أن تحضر فوراً ! فالوقت ضيق !

الوالد : بعد نصف ساعة فقط وهي مسافة الطريق بالسيارة !

أنهى « عامر » مكالمته مع والده ، ورجع إلى المنزل حيث طمأن

إخوته بأن والدهم في طريقه إليهم بالسيارة . .

وكانت « أم شلبي » أسعدهم نبأ وصوله ! فحضوره سوف يخليها

من تحمل مسئولية هؤلاء الشياطين الصغار ! وكفاها ما جرى لها حتى

الآن في هذه الدار !

خطة « عامر » !

كان « سمارة » يجلس وحيداً

على حافة التربة ، وهو يدلي

بصنارنه في الماء . وكان يبدو

لناظر إليه أنه مستغرق بكل

حواسه في عملية الصيد . ولكن

في الحقيقة كانت إحدى عينيه

على الطعم ، وعينه الأخرى على

الساقية القريبة !

وكان المكان المنعزل خالياً

من المارة ، لا يعكر صفوه إلا نهيق الحمير ، ونحوار الجاموس ، ونباح

الكلاب !

وبينا هو كذلك مأخوذ بعملية الصيد والمراقبة ، وقد نسي الدنيا

وما فيها ، إذا به يفيق بغتة على صوت أجش يحدثه من الخلف !

صحا « سمارة » على هذا الصوت المألوف ، الذي لن ينساه مدى

الحياة ، إنه صوت « عويضة » ، الذي كان يقف وراءه منتصب

القامة كالطود الشامخ !



عامر

ذعر «سمارة» في أول الأمر ، ولكن نفسه هدأت عندما لم يُبَدَّ
«عويضة» أية دلالة على معرفته إياه . . .

فقد كان «سمارة» يخفى وجهه بكوفيته اتقاء للبرد ، حتى لم يعد
يظهر منه غير عينيه وأنفه . . .

بدأه «عويضة» الحديث ، وكانت نبرات الشك تبدو واضحة في
صوته ، فقال له : ماذا تفعل هنا أيها الصبى في هذا الصقيع ؟ !
تردد سمارة في الإجابة بعض الوقت لئلا يكتشفه «عويضة» من
صوته . ولكنه أجابه بعد أن حاول جهده تغيير معالم صوته ونبراته !
كما ترى ! أحاول أن أصطاد قرموطاً ! .

عويضة : ألم تر أحداً في هذه الناحية ؟
سمارة : لماذا تسأل ؟ . . . والمكان خالٍ كما ترى ؟ فلا يوجد غيرى
وغيرك !

عويضة : لقد سطا الأشقياء على غيطى القريب . . . وقتت بإبلاغ
نقطة سنديون . . . فهل نحت أحداً من رجال البوليس هنا ؟
آه من الخبيث ! . . . إنه يريد أن يتأكد من أن سرّ سبائك
الذهبية مازال سرّاً مكتوماً !
فأجابه سمارة دون تردد : لا . . . أبداً ! . . . وما دخل الشرطة
هنا ؟ ! . . .

عويضة : ألم تسمع صوتاً غريباً لفت نظرك ؟
سمارة : لم أسمع غير صوت الحمير والجاموس والكلاب !
عويضة : أقصد صوت . . . صوت ساقية مثلاً ! !
سمارة : ساقية ! . . . لا يوجد في كل الناحية غير هذه الساقية . . .
وهي مهجورة منذ سنوات طويلة لم يقربها أحد ! !
عويضة : آه ! أهى كذلك ! لم أكن أعرف ذلك !
ظهرت علامات السرور والارتياح على وجه «عويضة» ، وما إن
هم بالانصراف حتى ظهر «روميل» فجأة أمامه ، وكان في جولة
قصيرة بين المزروعات . وما كاد يلمح «عويضة» حتى كثر عن
أنياه ! ثم ذهب واحتفى في «سمارة» إنه مازال يذكره !
أخذ «عويضة» يتفحصه بإمعان ، ثم سأل «سمارة» وهو يظهر
الشك : أهذا كلبك ؟
صمت «سمارة» وهو يتردد في الإجابة . إذ كيف ينسى
«عويضة» ذلك «الثعلب» الذى أطلّ عليه من نافذة المطبخ ، ثم
هاجمه وأنشب محالبه في ساقه دفاعاً عن صاحبه ! . . .
وأخيراً قال «سمارة» بصوت مرتعش :
- أظن ذلك !
عويضة : تظن . . . ألا تعرف كلبك ؟

سمارة : هذا النوع من الكلاب ينتشر في هذه الناحية ! وكلها
تشابه ! قد يكون كلبى . . وربما لا يكون !

عويضة : أذكر أنى رأيت هذا الكلب بالذات من قبل ! ولكنى
لا أذكر أين ! . . ومتى ! . .

سمارة : أنت مخطئ ياسيدى ! لقد وصلت بكلبى من القاهرة
منذ ساعة فقط !

أخذ «عويضة» يعمل فكره ليتذكر هذا الكلب العجيب . ولكنه
عجز عن ذلك ، فهز رأسه وانصرف . إن لديه ما هو أهم من هذا
الكلب ! وما كان يهتم به هو الإطمئنان على سبائك الذهبية ، وأن
أحداً لم يقترب من الساقية . وهاهو ذا قد اطمأن عليها ! . لقد طمأنه
عليها ذلك الصياد الصغير البرىء من حيث لا يدري !

انزعج الكابوس الثقيل من قلب «سمارة» ، وهدأت نفسه قليلاً .
كان لا محالة هالكا لو تذكر «عويضة» كلبه «روميل» ! ولكن الله
ستر ، وطمس على ذاكرته ! . .

ولكنه كان يضحك فى باله على خيبة «عويضة» الثقيلة .
ويا لها من مفاجأة مذهلة منتظرة . . لن تخطر له على بال . . هو
وأعوانه الأشرار !

انصرف «سمارة» عائداً إلى المنزل ليحذر «عامر» وليخطره بأن

«عويضة» يحوم حول الساقية ليطمئن على كثره !
وعندما دخل الردهة ، فوجئ بالمغامرين الثلاثة وهو يلتفون حول
والدهم يتحدثون إليه .

كانوا يتسابقون فى سرد ما صادفهم من وقائع غريبة فى المنزل ،
وهو يستمع إليهم فى عجب ودهشة ، فقال الوالد : لقد
حيرتمونى ! ! لى ربع قرن وأنا أواظب على الحضور إلى هذا المنزل ! .
ولم أسمع صوت هذه السقاطة مرة واحدة ! أو انتقال خيال المائة من
مكانه ! . . أو إدارة هذه الساقية المهجورة ! . .

ثم تنبه «عامر» إلى وجود «سمارة» فى الردهة ، فسأله : ماذا
جاء بك يا «سمارة» ؟ ولماذا تركت مركز المراقبة ؟ . .

سمارة : لقد ظهر «عويضة» بقرب الساقية ، وتحدث إلى .
ولكنه لم يتعرف على . . وقد لاحظت عليه القلق الشديد ! .
عامر : أعتقد هذا لأنهم يستعدون لنقل السبائك الذهبية هذه
الليلة !

نظر الوالد إلى «عامر» فى دهشة ، وكأنه لا يصدق أذنيه ،
فصاح :

الوالد : سبائك ذهبية ! ! أهنأك سبائك ذهبية أيضاً ؟ ؟
أين ؟ ؟ فى المنزل ! ! لا علم لى بذلك !

عامر : كنت سأخبرك بها حالاً . . السبائك موجودة الآن في الساقية !

الوالد : سبائك ذهبية في الساقية ! ! أية ساقية ؟ الساقية المهجورة ؟ هل أنت متأكد ؟

عامر : نعم . . أربعون سبيكة ذهبية ! في كل قادوس عشر سبائك ! لقد عددتها بنفسى !

الوالد : هذه مسألة خطيرة لا يجب السكوت عليها . . لم أسمع في حياتى خبراً أعجب من هذا !

عامر : ولهذا تحدثنا إليك في التليفون . . لأن المسألة عاجلة جداً كما ترى !

الوالد : وهل أبلغتم النقطة ؟ ماذا تنتظرون ! . .

عالية : كنا ننتظر حضورك يا بابا لتقوم بنفسك بهذه المهمة ! ! . .

وهنا تدخل «سمارة» وقال :

على كل حال السبائك في أمان . . سأقوم بحراستها بنفسى حتى يحضر البوليس !

ضحك الوالد على قول «سمارة» ، بالرغم مما كان يشعر به من خوف وقلق بالغ . فهو يدرك تماماً أن مثل تلك العصابات الخطيرة

التي تعمل في تهريب الملايين ، لن تسمح بأن يقف نفر من الأطفال المغامرين عقبة في طريقها . بل هى ستلجأ حتماً إلى جميع الوسائل غير المشروعة لإزالتهم من سبيلها ! ! . .

أما المغامرون فكانوا على عكس والدهم . كانوا يشعرون بالهدوء والفرح والسعادة . إن مغامرتهم قد قاربت نهايتها - أو هكذا ظنوا - بعد أن أدوا واجبهم فيها على أكمل وجه . لقد انتصروا على الجريمة بشجاعتهم وذكائهم وحسن تصرفهم !

° ° °

جلس ضابط نقطة «سنديون» في الردهة ، ومن حوله التف المغامرون . وكان الضابط ينصت إلى «عامر» باهتمام غير عادى ، وكأنه يستمع إلى تقرير مفصل يدلى به أحد ضباط المباحث ! ولكنه كان ما بين مصدق ومتشكك ! إنه لا يصدق أن هؤلاء المغامرين الصغار قد أقدموا على مثل هذا العمل الذى يعجز عنه بعض الرجال !

وبعد أن انتهى «عامر» من سرد تقريره ، قال الضابط : إن عملكم الجليل ساعدنى كثيراً . لقد وصلتني «إخبارية» باحتمال وجود عصابة دولية لتهريب الذهب في محافظة القليوبية ! ولكنى لم أكن

أتصور أنها في منطقة اختصاصي « بسنديون » حتى علمت ذلك منكم الآن !

عامر : وكان من السهل علينا أن نحمل السبائك إليك !
عارف : ولكننا آثرنا أن نتركها في مكانها حتى ترجع إليها العصابة ، وعندئذ يسهل القبض عليها في حالة تلبس !
سمارة : وكنت أنا أحرس الساقية حتى لا يستولى اللصوص على الكتر ! وجاء زعيم العصابة يحدثني . . ولكني لم آبه به ! ! . .
عالية : . . سوف تقع العصابة في المصيدة . . إنهم لن يفلتوا من أيدينا ! ! . فنحن نقف لهم بالمرصاد !

الضابط : ما فعلتموه هو عين العقل . . لقد أحسنتم التصرف بذكاء وفطنة وشجاعة .

عامر : لقد أدركنا أن القبض على العصابة أهم من العثور على الذهب ! . .

الضابط : هذا صحيح . . والآن . . هل يمكن لأحد منكم أن يتعرف على أفراد العصابة ؟

سمارة : أنا ! فزعيمها « عويضة » ضربني ضرباً مبرحاً مازال أثره على جسدي ! . .

الضابط : وهل تعرفه إذا رأيته مرة ثانية ؟ . .

سمارة : وكيف أنساه ! لقد كنت أتحدث إليه من ساعة فقط !
نظر الضابط إلى « سمارة » بارتياح ! وقال : هل أنت متأكد منه ؟ وأين رأيته ؟ وماذا دار بينكما من حديث ؟

سمارة : رأيته أول مرة في المطبخ ، عندما ضربني « العلقه » . . وحبسني في الكرار أنا وكلبي ! وثاني مرة اليوم بجوار الساقية . . وقال لي إنه ينتظر وصول البوليس للتحقيق في بلاغ قدمه بسرقة محصوله !
الضابط : هذا غير صحيح فهو كاذب ! لم يصلني اليوم أي بلاغ ! وليس في هذه الناحية كلها فلاح يحمل هذا الاسم ! . .
سمارة : وسألني أيضاً عن الساقية المهجورة !

الضابط : إنه يريد التحقق من عدم معرفة البوليس بنشاطهم . . وأن السبائك مازالت في مكانها بالساقية ! . . فلندعهم يعتقدون ذلك . . . وسنضع نخطتنا على هذا الأساس ! . .

...

كانت الخطة بسيطة وإن كانت تدل على الذكاء والجرأة . وكان الفضل في رسمها - كما أقر الضابط بنفسه - للمغامرين الثلاثة ، وعلى رأسهم « عامر » الرأس المفكر المدبر !

وما الغرابة في ذلك ، وهم قد اختبروا المنطقة جيداً ، وعرفوا كل شبر فيها . كما تعودوا الآن على الكثير من سلوك رجال العصابة وحيلهم

والأعيهم التي قاسوا منها الكثير. وخصوصاً «سبارة» الذي وقع في أيديهم ، وتعرف على زعيمهم «عويضة» وزميليه

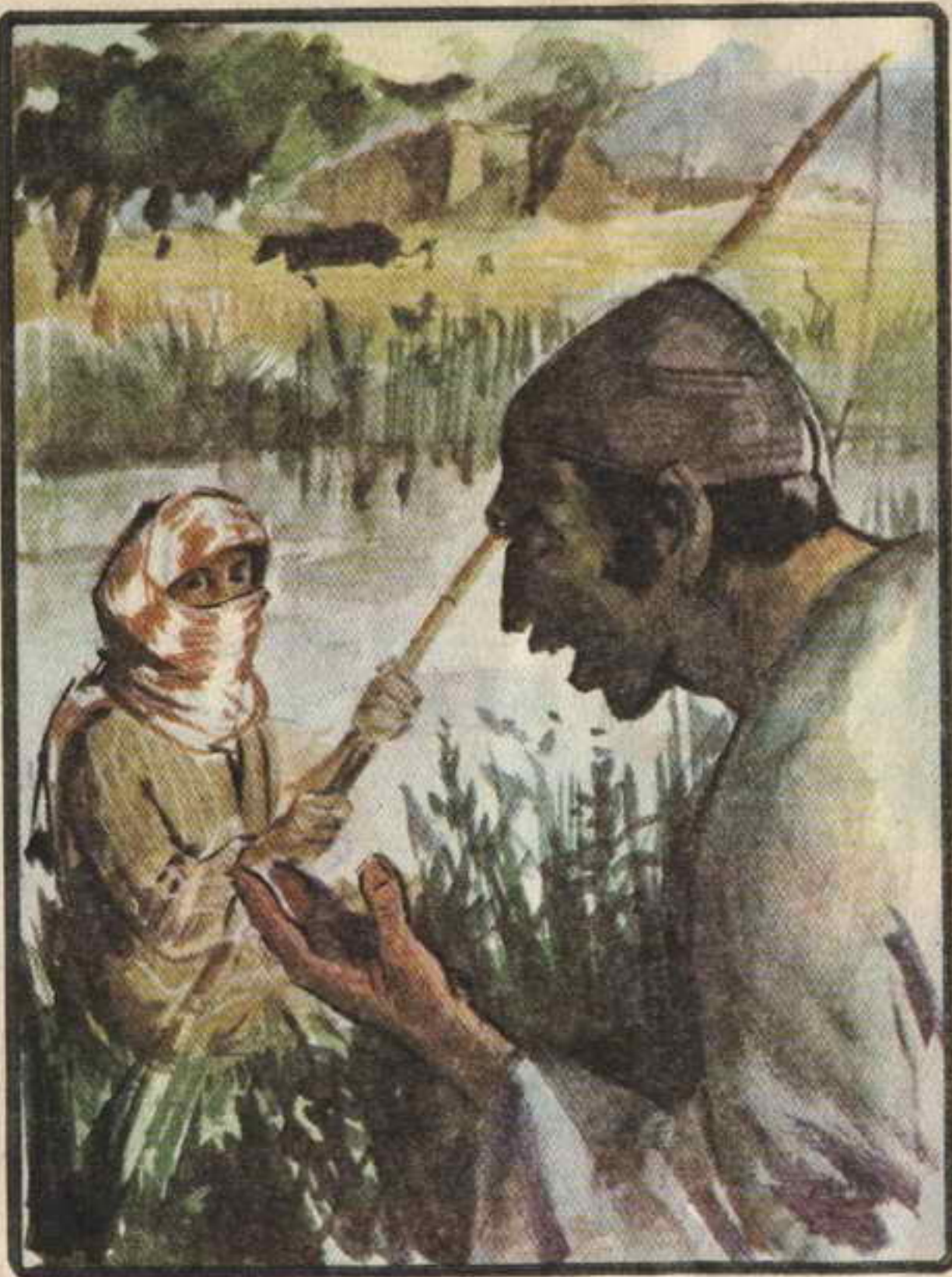
هذا بجانب أن وجود المغامرين على مسرح العملية لن يثير أية شبهة . بل هو شيء طبيعي لا يلفت النظر ! . . أليس المنزل منزلهم ؟ والغيظ غيظهم ؟ والساقية ساقيتهم ! ! . . بل بالعكس . . إن غيابهم المفاجئ قد يثير تساؤل العصابة ! . .

وقد بنى المغامرون خطتهم على أساس أن لا خوف من تسلل الأتقياء ، وحصولهم على السبائك ، ثم الفرار بها في جنح الظلام . إذ لابد لهم لتنفيذ ذلك من إدارة الساقية ! وعندئذ تطبق عليهم قوة مسلحة من رجال الأمن عند سماعهم نعيها .

واقترح «عامر» أن تكمن هذه القوة في منزلهم ، حيث يسهل عليها أن تطبق على العصابة في ثوان معدودات ، وقبل أن يفلتوا بحملهم الثقيل الغالي الثمن !

ولم يستبعد «عامر» عند وضع الخطة ، أن يلجأ الأتقياء إلى النزول بأنفسهم في بئر الساقية وانتشال السبائك ، دون الحاجة إلى إدارتها ! إذ قد يتعذر عليهم مثلاً العثور على جاموسة . . أوليتفادوا ذبوع صوتها في سكون الليل ! . . أولاً سبب آخر . .

وفي هذه الحالة كان لا مفر من اشتراك المغامرين الفعلية مع القوة



دعر «سبارة» أول الأمر ولكن نفسه هدأت عندما لم يجد «عويضة» معرفته إياه .

المسلحة فى العملية ! ! إن فى ذلك ضمناً لنجاح الخطوة . .

كان أول ما فعله المغامرون هو التسلل إلى المبنى الذى أخفت فيه العصابة الدراجات الثلاث . وكان ذلك بعد أن استكشف لهم « سارة » الطريق والمكان . . فوجده خالياً .

وهناك وجدوا الدراجات كما تركوها ، تختفى تحت أكوام القش . فما كان من « عامر » إلا أن أسرع فى فك صواميل عجلاتها ، وتركها فى مكانها ، ثم أهال عليها أكوام القش كما كانت ، ثم قال : عامر : هذا من باب الاحتياط ، حتى نمنعهم من الهرب بها ! سوف يُطرحون أرضاً إذا حاولوا ركوبها . . أو استعمالها فى حمل السبائك ! هذه أولى مفاجأتنا لهم !

عالية : ياله من منظر مضحك فريد كان بودى أن أشاهده ! عندما يهوى « عويضة » بالدراجة فى التربة ! . .

ثم سار « عامر » إلى مكان يواجه الساقية على حافة التربة ، حيث ينمو حرش من البوص والغاب الكثيف . وبعد أن عاينه قال : عامر : هنا ستكون منطقة مراقبتى . . هذا المكان يصلح للاختفاء ! ولن يخطر على بالهم أن هذا البوص الشائك يضم شخصاً !

عالية : ولكنه قريب من الساقية .. لا يا «عامر» ! أنت كمن يضع نفسه في عرين الأسد !

عارف : وماذا لو اكتشفوك ؟

عامر : المهم أن أصدر الإشارة المتفق عليها إلى القوة أولاً .. ثم أقفز إلى الماء .. وفي طرفة عين ساكون على الشطّ المقابل .. ولن يلحق بي أحد منهم .. أويكتشفني في الظلام ..

عالية : ولكنك ستصاب ببرد ، فالماء بارد !

عامر : لا خوف علىّ ، لقد تعودت على الماء البارد في تدريبات بطولات السباحة ..

وكان دور «عارف» هو همزة الوصل ما بين القوة المرابطة في المنزل ، وبين الخارج . إن تحركاته في المنطقة لن تثير شبهة أحد ! ..

هذا علاوة على رعايته لأخته «عالية» ، ووالده ، و«أم شلبي» ، التي كانت في حالة يرثى بها من الهلع !

أما «سمارة» فقد اعترض على دوره في أول الأمر . ولكن ما لبث «عامر» حتى أقنعه به ، وبدّد مخاوفه ! فقال له :

عامر : وما هو اعتراضك على مهمتك ؟ فعهدى بك الشجاعة !
سمارة : المكان الذي ساكن فيه موحش ، فهو يقع وسط

بساتين البرقوق ! وهو الطريق الذي نرجح أن العصابة ستسلكه و ..
فقاطعه «عامر» وهو يحاول أن يدخل الطمأنينة إلى قلبه ، وقال :
عامر : العصابة لن تتعرف عليك وأنت متكرر في صورة «خيال المآة» ! ! سنحاول أن نجعل منك صورة طبق الأصل من «شلبي» !

سمارة : وهذا هو اعتراضى ! ! لقد فشلت مرّة وأنا في صورة نمر ! ! فما بالك وأنا في صورة «خيال المآة» ! ! ..
ضحك «عامر» عندما تحيل «سمارة» وهو في زى «خيال المآة» ، يقف بالساعات لا يتحرك ، مادّاً ذراعيه في صقيع الليل وسط بساتين الفاكهة !

عامر : لا أهمية للفشل .. المهم أن نحاول وننجح ! ..
وبعد أن انتهى المغامرون من معاينة مسرح العملية ، ومراجعة أدوارهم بكل دقة وعناية ، عادوا إلى منزلهم ، انتظاراً لحلول الظلام !



الكمين !

وعندما هدأت الحركة وساد
الظلام ، دخلت القوة المسلحة
منزل المغامرين في هدوء وحذر ،
بقيادة ضابط النقطة .
فاستقبلهم الوالد بالترحاب ، في
حين كانت « أم شلبي » تختفي في
حجرتها بعيداً عن الأنظار !
وكان « عامر » و « سمارة »
على أهبة الرحيل ، كل إلى
موقعه المتفق عليه في الخطة !



روميل

فارتدى « عامر » ملابس قاتمة ، لتخفي شبعة في الليل وسط
حرش البوص على حافة التربة ، ووضع بطاريته في جيبه .
أما « سمارة » فوضع طاقيّة على رأسه ، وكوفية حول عنقه ،
وارتدى جاكته مهلهلة ، وسروالاً ممزقاً .

وكانت « عالية » تختلس النظرات إليه وهي تبسم ، ثم قالت :
عالية : مسكين « سمارة » ! سيقف طول الليل كالديدبان ساكناً

بلا حركة . . فardاً ذراعيه ! . . إنه سينافس « شلبي » ! أرجو
ألا يلتقي مصيره !

الضابط : نحن الآن في الانتظار . وسنكون فوق رؤوسهم بعد
قليل من سماع صوت الساقية ! حتى نعطهم الفرصة لاستخراج
السبائك ، فنقبض عليهم متلبسين !
عامر : أما إذا نزل أحدهم إلى البئر بنفسه لاستخراج السبائك كما
أتوقع . . فسأصدر لكم إشارة ضوئية خاطفة من وراء البوص !
سمارة : وأنا إذا نحت « عويضة » أو « أبوسريع » في طريقهما إلى
الساقية ، فسأطلق ساقى للريح بين الأشجار حتى أصل إلى المنزل
لأنهكم ؟

الضابط : اتفقنا . . أتمنى لكما النجاح . . وأوصيكما بالحذر . .
فالخطة كلها تتوقف عليكم ، وحسن تصرفكما !

...

كان الجو المحيم على المكان مقبضاً . فالسماء ملبدة بالغيوم !
والرياح راكدة ! ونقيق الضفادع يصم الآذان !
افترق « عامر » و « سمارة » عندما وصلا قرب الساقية . وقبل أن
يفترقا أوصى « عامر » « سمارة » بالتيقظ وحسن التصرف ، قائلاً :
عامر : عليك يا « سمارة » باليقظة ، وإياك أن تغفرتانية واحدة !

إن مهمتك دقيقة وخطيرة . . ولن يهب أحد لنجدتك وسط بساتين
البرقوق المقفرة . . واحذر الثعالب !

أما « عامر » فقد عاين الساقية والمبنى الطيني والدّوار للمرّة
الأخيرة . وبعد أن اطمأن على وجود الدّراجات في مكانها ، ذهب
إلى مخبئه وسط البوص .

تحمّل « عامر » ونز الشوك في صبر وأناة . فإن أحداً من الأشقياء
لن يخطر على باله أن عيناً تتربّص لهم في هذا المكان الضيق الشائك !
قبع في مكانه وكلّه آذان صاغية مرهفة . وبالرغم من حلقة
الليل ، كانت عيناه الحادّتان تحترقان الظلمات . فقد تنشق الأرض
عن « عويضة » وأعوانه في أية لحظة ! وعندئذ سوف يتأهب لإعطاء
الإشارة المتفق عليها إذا نزل أحدهم البئر ! ثم ينتظر هجوم القوات
ليشارك معها في القبض على الأشقياء .

أما المسكين « سمارة » فكان يقف وحيداً وسط غابة كثيفة من
أشجار الفاكهة . وكان يتلقّت في الاتجاهات الأصلية الأربع ، فهو
لا يعلم أى طريق سوف تسلكه العصاية ! فهي قد تفاجئه من يمينه
أو يساره . . من أمامه أو خلفه ! وربما لا تسلك هذا الطريق
إطلاقاً ! أو ربما لا تظهر اليوم . . إنما غداً . . أو بعد غد ! من
يعلم ! على كل حال ها هو ذا في انتظارهم على استعداد !



افترق « عامر » عن سمارة في طريقه إلى مخبئه بين سيقان البوص .

ولكن ماذا يهّمه من كل ذلك ! إنه سوف يقوم بالمهمة الشاقة المكلف بها على أتم وجه ، بالرغم مما قد يصادفه من مخاطر وصعاب .

وهذا بطبيعة الحال إذا لم يخرج عليه ثعلب من وسط الأشجار ! ! !

وفي هذه الحالة سوف يولى الأدبار !

قاربت الساعة الثانية بعد منتصف الليل . وكان « عامر » ينظر في ساعته الفوسفورية في قلق بين الفينة والفينة . لقد ابتدأ النعاس يغالبه بعد أن حلّ به التعب والإرهاق ، ولولا صوت نقيق الضفادع المزعج الذى كان يؤرقه لنام !

ولكن لا حَسَّ ولا خبر عن « عويضة » وعصابته ! رجح لديه أن العصابة لن تأتى الليلة في طلب السبائك ؛ وكاد اليأس ينتابه ، عندما وصلت إلى سمعه أصوات خافتة تأتى من بعيد ، يصحبها وقع أقدام .

ثم ظهرت أمامه فجأة ثلاثة أشباح تحوم حول الساقية . ولكنه لم يتمكن من التمييز بينها في الظلام . ثم ما لبث أن سمع الحديث التالى يجرى بينهم :

الشبح الأول : لماذا رفض « رفاعى » أن يعطيك جاموسته ؟ وماذا قال لك ؟ وكيف ينكص وعده معنا ؟ الويل له منى !

الشبح الثانى : قال إنه سيحلب الجاموسة ؛ فطلبت منه جملاً . فقال إنه سيحمّله بالحطب من الغيط ! ! .

الشبح الأول : لا بد من استخراج السبائك هذه الليلة بأى ثمن ! حالاً ! فقد يضيع هؤلاء الصغار كل مجهودنا هباء !

الشبح الثالث : لك حق ! فهذا الصبي الذى كان يلبس جلد الغر رأى الصناديق ! وهو لن يسكت على ذلك ! بل سيقم الدنيا ويقعدها علينا !

الشبح الثانى : وما العمل الآن ؟ نحن فى ورطة !

الشبح الأول : لا حاجة لنا يحمل أوجاموسة لإدارة الساقية . بل بالعكس قد يلفت نعيها الأنظار ! يستحسن أن نعمل فى صمت !

الشبح الثانى : ولكننا لن نقدر على إدارة الساقية بسواعدنا !

الشبح الأول : قلت لا داعى لذلك ! ! . سأدلى بحبل متين تهبط به إلى قاع البئر . لتستخرج السبائك من القواديس . . ثم

تضعها فى هذه الزكبية . . ونرفعك بالحبل إلى أعلى !

رأى « عامر » الأشباح الثلاثة وهى تتسابق نحو بئر الساقية . وكان وهو يخرج بطاريقته من جيبه يهتز من الإثارة ، استعداداً لإصدار

الإشارة . ثم انتظر قليلاً حتى يتأكد من نزول الشبح إلى البئر ، ويبدأ في إخراج السبائك . .

ولكنه فوجئ بالشبح الأول وهو يقول : اذهبا واحضرا الدراجات أولاً ، حتى تكون جاهزة لحمل السبائك بمجرد خروجها ! ! . . كادت تصدر عن « عامر » صيحة تفصحه ، وهو يستمع إلى تعليمات الشبح إلى أعوانه ! إن الخطوة التي وضعوها أصبحت الآن على وشك الفشل . يا خيبة الأمل ! لقد كان النجاح وشيكاً وأكيداً ! لقد ذهب مجهودهم عبثاً .

فالأشقياء سرعان ما سيكتشفون أن يداً غريبة حلت صواميل الدراجات وعطلتها ! . . سيدرك « عويضة » وأعوانه أن هؤلاء الصبية قد كشفوا الستار عن عملهم . . وأبلغوا عنهم . . وأنهم الآن مراقبون محاصرون ! ! . .

لا وقت الآن أمام « عامر » للتفكير أو الانتظار . لابد أن يتخذ قراره بأسرع من لمح البصر ! وقبل فوات الأوان ! لا جدال في أن أفراد العصابة سوف يلوذون بالفرار وسط المزارع والبساتين ، عندما يكتشفون ما أصاب الدراجات من تخريب ! . . إنه برهان دامغ على أن سرهم قد انكشف وذاع ! . . فأخرج « عامر » بطاريتته من جيبه ، وأصدر إشارته الضوئية الحافظة

دون تردد ! ودون انتظار اكتشافهم لما حدث للدراجات ، أو النزول إلى البئر ! . .

لم يتنبه الأشقياء إلى الإشارة ، فقد كان اثنان منهم داخل المبنى الطيني ، والثالث ينتظرهما على الباب ، وهو يحثهما على الإسراع ! . قدر « عامر » أن تصل القوة إلى الساقية في أقل من ثلاثين ثانية ، تقطع فيها عدواً مائة المتر ، التي تفصل الساقية عن المنزل . أى قبل أن يفيق الأشقياء من المفاجأة التي تنتظرهم داخل المبنى . وقبل أن يتمكنوا من الفرار ! . .

وما كاد الشبحان بدخولان المبنى ، حتى سمع « عامر » صياحاً يصدر من داخله . كان الذعر يتخلل نبرات هذا الصوت وهو يصبح :

— لقد ضعنا يا « عويضة » ! ! . .

عويضة : ماذا تقول يا « أبوسريع » ؟ من الذى ضاع ؟ ! .

أبوسريع : نحن يا « عويضة » ! ! رحنا في داهية ! ! . .

لقد كشفنا هؤلاء الشياطين الصغار !

عويضة : ما الذى حدث ؟ . . تكلم ! ! . .

أبوسريع : إن يداً فككت العجلات ! ! يا لحيتنا الثقيلة ! !

عويضة : ماذا تقول ! هذا مستحيل ! لا أحد يعلم بوجودها في

هذا المكان !

أوسريع : لقد تغلب علينا هؤلاء الشياطين الصغار ! إنهم يعلمون كل شيء عنا ! ..

عويضة : إذن هيا بنا نسرع بالفرار قبل أن نقع في كمين ! ! ..

ولكن تحذيره جاء متأخراً . إذ لم يكده ينتهى من جملته ، حتى أطبقت عليهم القوة ، وأحاطت بهم من كل جانب . . .

لم يجد «عويضة» وشركاؤه مفراً من الاستسلام دون إبداء أية مقاومة ، في مواجهة المدافع الرشاشة والمسدسات المصوّبة إلى صدورهم ! ..

وكان «عارف» ، الذى وصل مع القوة ، يقف مع «عامر» على حافة التربة بعد أن خرج من مخبئه الشائك ، وهما يضحكان ملء شديهما على خيبة «عويضة» وشريكه !

أما «سمارة» فكان فى واد آخر ! حتى أصوات الحركة والصياح والصراع لم تصل إلى سمعه !

لقد بذل المسكين مجهوداً خارقاً جباراً طول الليل . كان يقف ساكناً كالتمثال دون أن تصدر عنه حركة أو إشارة ، وهو يحاكي «خيال المآتة» ! إلى أن غلبه النعاس والتعب ، فخرّ صريعاً على

الأرض وراح فى سبات عميق ! ..

ولما قلق المغامرون على غيابه حتى الصباح ، خرجوا يبحثون عنه وسط البساتين الشاسعة ، إلى أن عثروا عليه وهو يرقد تحت شجرة باسقة . كان يرتجف من البرد داخل جاكته المهلهلة ، وسرواله الممزق ! و«روميل» المخلص يرقد تحت قدميه !

نظرت إليه «عالية» نظرة عطف وإشفاق ، وقالت : - ياله من شجاع ! كانت مهمته شاقة صعبة ينوء تحت حملها الرجال ! ولكنه لم يفكر فى أن يتخلّى عنها حتى خرّ على الأرض ! ..

فضحك «عامر» وقال : الحمد لله إنه سليم لم يلق مصير «شلبى» !

ولا تسَلْ عن فرحة «سمارة» عندما أيقظوه وعلم منهم نبأ القبض على العصابة ، وقال انتظرتهم طول الليل وأنا أقف فى الصقيع حتى تجمّدت ! ولكن لم يجرؤ أحد منهم على الظهور ! ! .. فنمت ! .. وكان والدهم يجلس على أريكة تتوسط الردهة ، عندما دخل عليه المغامرون بصحبة «سمارة» .

وكان الوالد يشعر بالزهو والفخر بأولاده البواسل الشجعان . ألم يمنعوا بجرأتهم وإقدامهم وذكايتهم كارثة مالية كانت ستحقيق

بالاقتصاد القومي لوطنهم ! ...

جلس « عامر » إلى يمينه ، و« عارف » إلى يساره وهو يحتضن قطه « مرجان » .

أما « عالية » فافترشت الأرض على جلد الثمر كعادتها ! . في حين جلس « سمارة » على كرسي وهو يربت بحنان ظهر « روميل » . .
قال الوالد : اتصل بي ضابط نقطة « سنديون » يطلب مقابلتكم في أمر هام . وفوق ذلك فهو يريد أن يدون أقوالكم في محضر رسمي يرفعه إلى الجهات العليا الرسمية .

وفي صبيحة اليوم التالي ، وصل ضابط المباحث إلى المنزل ، وجلس في مواجهتهم . وكان ينظر إليهم بإعجاب وهو يدون أقوالهم في المحضر . ووجه إليهم الحديث فقال :

- كلفت رسمياً أن أوجه إليكم الشكر نيابة عن سلطات الأمن . فأنتم قد أدبتم خدمة جليلة للدولة ، بعد أن ثبت لدينا أن هؤلاء المجرمين العتاة هم أخطر مما كنا نتوقع ! ...

إذ اتضح لنا بعد استجوابهم أنهم شركاء في عصاة دولية متشعبة ، تعمل في تهريب الذهب إلى بلدان الشرق الأوسط . وقد اتصلنا بالبوليس الدولي « الإنتربول » لمساعدتنا في القبض على أفرادها بعد أن اعترفوا لنا بأسمائهم ! ...

عامر : وكم بلغت قيمة السبائك المصادرة ؟

الضابط : لقد أرسلناها إلى البنك المركزي لتقييمها . وهي تقدر على كل حال بعشرات الملايين !

عارف : لو قدر لهذه السبائك أن تتسرب لانهارت أسعار الذهب في أسواقنا ! ...

الضابط : لاشك في ذلك ! ولكنكم منعتم وقوع هذه الكارثة ، ووقفتم في سبيلها . لقد قتم بعمل رائع سوف نذكره لكم دائماً . . .
عامر : إننا لم نفعل شيئاً . . هذا واجبنا أدينا !

عارف : ولو قدر لنا أن نعاود الكرة لما ترددنا !

عالية : ومكافأتنا هي وقوع العصاة في أيدي العدالة !

سمارة : ولا تنسوا « روميل » ! ودوره البارز في العملية ! !

